عدد خاص

الجماعة

مجلة إسلامية

العدد 9 ـ فاتح صفر 1402 هـ . موافق ديسمبر 1981 م ـ الثمن 7،50 دراهم

عدد خاص (2)

الجماعـــــة

مجلة إسلامية

العدد التاسع
شهر صفر 1402 هـ

المدير المسؤول: عبد السلام ياسين

بسم الله الرحمن الرحيم

اقرأ في هذا العدد

القسم الثاني من منهاجنا النبوي تربية وتنظيما وزحفاً

نرجو أن يجد فيه رجال الجد والجهاد من المؤمنين نقط لقاء فكري للأخذ والعطاء، وأن يجدوا فيه خط لقاء على درب القومة الإسلامية. القسم الثالث والأخير في العدد العاشر إن شاء الله تعالى.

نشكر إخوتنا الذين شاركونا المناقشة في فصول القسم الثاني ونستدعي مشاركتهم في القسمين الحالي والمقبل بحول الله.

وعسى أن نفتح بعد ذلك لطرح الآراء و الاجتهادات، فما حاجتنا إلى وضوح الرؤية بأقل من حاجتنا إلى مضاء العزائم الإيمانية.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم

افتتاحية

تمثيليات

قال سليمان بن عبد الملك لأبي حازم أحد علماء الأمة وصلحائها: «اصحبنا يا أبا حزم نصب منك وتصب منا».

ما ذا يصيب الحاكم من العالم؟

وماذا يصيب العالم من الحاكم؟

ما يزال الحكام يساومون العلماء، وما يزال بعض العلماء يميلون ويركنون. وهي إحدى الطوام أن يهين العالم نفسه ويخسر آخرته بتبرير أفعال وسائر الظلمة.

نظن ياعلماءنا أن ليس فيكم واحد في المائة ممن أغوتهم الدنيا وغرهم الشيطان. حسن ظن أمرنا به. لكننا نرى مكر الماكرين لهذا الدين يساهم في إخراج تمثيلياته بعضكم. فهل هي غفلة الصالحين؟ أم هو التبلد والاستكانة أمام السلطان؟

الأمة في محنة ما سبق مثلها ، والمؤمنون المجاهدون في إيران وسوريا وأفغانستان ومصر وتونس وسائر دار الإسلام يبرهنون بشجاعتهم في الحق أن في هذه الأمة خيرا. وبعضكم يا علماءنا هنا في المغرب، وهناك في أرض الجهاد يسايرون الظلمة فيبرهنون بذلك على أن داءنا منا.

أيرضى بعضكم يا علماءنا أن يلقى الله بعد أن أعار نفسه وسمعته وعلمه وجهده لأعداء الإسلام وخصومه، ليضرب جند الله المنبعثين لنصر الله؟

ما نظن أن فيكم واحدا في المائة من حزب إبليس. لكن واقع سكوتكم بينما ينطق باسمكم المعممون الكذابون، تلبيس على هذه الأمة التي أخذ الله عليكم الميثاق أن تبينوا لها الحق.

تسكتون رضى أم غلبة؟ تزكون الباطل تدجيلا أم رغبة فيما يصيب العالم من الحاكم؟

تمثيليات زج بكم في ألاعيبها.

خجل الواحد منكم واهتمامه براحته يعرض مصير الأمة للضياع.

في سوريا يقتل العلماء ويشردون، وينضمون لهذا الشباب المجاهد يقودون الحركة.

في إيران ينتصب العلماء للدفاع عن الإسلام ويواجهون تحدي الجاهلية عن بكرة أبيها.

في مصر اتضح للخاص والعام أن العلماء من أمثال الشيخ عمر التلمساني، والشيخ عبد الحميد كشك، والشيخ المحلاوي، هم الخطر الوحيد على مؤامرة بيع بلاد الإسلام للصهيونية والصليبية.

في أفغانستان يقود العلماء زحف جند الله على الدب الملحد، يقفون شجى في حلقه ويسلون قلوبنا المجروحة بانتصاراتهم.

في الصومال ثلاثمائة عالم رفضوا أن يمضوا حكم الطاغوت فصفوا وحصدهم الرشاش. عالم المسلمين ومفخرتهم باقر الصدر أبى أن يحني الرأس أمام جبار البعث، وقال لما خيره في نوع القتلة: « أذبح كما ذبح الحسين». رجال.

وأنتم يا علماء المسلمين بالمغرب تمثلون.

تسكتون إلا عن تأليف المقامات.

ذلك الواحد في المائة الذي لا نقبل وجوده بينكم، حسن ظن منا، يجني على جسم العلماء وكتلتهم. إن كان ثمة جسم وكتلته. يجني على الأمة الجناية الكبرى وهي أن تختلط عندها معايير الحق والباطل بمواقفكم ورضاكم ومسايرتكم.

نطرح عليكم مشهدا تاريخيا عسى ينال قلوبكم وعقولكم صوت أبي حازم الذي ينطق عليكم بالحق. عسى تسمعون وعظه من حيث تستغشون ثياب رفعتكم ومكانتكم الرسمية لكيلا تسمعوا صوتنا. وهو والله صوت المحبة فيما تنتسبون إليه من الدين والعلم

لا صوت الشماتة وهو والله صوت الإخوة لإخوتهم، هلم قومة تهفو إليها نفوس هذا الشباب الذي يريد الرجولة والإيمان، ويراد له أن يزم بأيديكم وأن يقلص نشاطه ويرد إلى صيغة رسمية.

هلم غضبة للحق، وجهرا بالحق، وتلاوما في الحق، كغضبة أبي حازم وجهره وعتابه لأخيه.

اقرأوا أحبتي هذه الصفحة من رجولات العلماء. جعل الله لنا ولكم نورا.

عن عبد الجبار بن عبد العزيز بن أبي حازم قال: حدثني أبي قال: بعث سليمان بن عبد الملك إلى أبي حازم فجاءه فقال: يا أبا حازم مالنا نكره الموت؟ قال: لأنكم خربتم آخرتكم، وعمرتم دنياكم، فأنتم تكرهون أن تنتقلوا من العمران إلى الخراب قال: صدقت فكيف القدوم على الله عز وجل؟ قال: أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله، وأما المسيء فكالآبق يقدم على مولاه. فبكى سليمان وقال: ليت شعري ما لنا عند الله يا أبا حازم؟ قال أعرض نفسك على كتاب الله عز وجل فإنك تعرف مالك عند الله قال: يا أبا حازم وأنى أصيب؟ قال: عند قوله: ﴿**إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ**﴾ الانفطار،13-14 فقال سليمان فأين رحمة الله؟ قال: ﴿**قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ قال: ما تقول فيما نحن فيه؟ قال: اعفني عن هذا. قال سليمان: نصيحة تلقيها. قال أبو حازم إنا أناسا أخذوا هذا الأمر عنوة من غير مشاورة المسلمين، ولا اجتماع من رأيهم فسفكوا فيه الدماء على طلب الدنيا، ثم ارتحلوا عنها، فليت شعري ما

قالوا وما قيل لهم؟ فقال بعض جلسائه: بئس ما قلت يا شيخ. قال أبو حازم: كذبت، إن الله تعالىٰ أخذ علىٰ العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه.

قال سليمان أصحبنا يا أبا حازم تصب منا ونصب منك، قال: أعوذ بالله من ذلك. قال ولم؟ قال : أخاف أن أركن إليكم شيئا قليلا فيذيقني ضعف الحياة وضعف الممات. قال فأشر علي. قال: اتق الله أن يراك حيث نهاك وأن يفقدك حيث أمرك. قال يا أبا حازم ادع لنا بخير. قال: اللهم إن كان سليمان وليك فيسره للخير، وإن كان عدوك فخذ إلىٰ الخير بناصيته. فقال: يا غلام هات مائة دينار. ثم قال: خذها يا أبا حازم. فقال: لا حاجة لي فيها أخاف أن يكون لما سمعت من كلامي.

فكان سليمان أعجب بأبي حازم. فقال الزهري: إنه لجاري منذ ثلاثين سنة ما كلمته قط. قال أبو حازم: إنك نسيت الله فنسيتني، ولو أحببت الله لأحببتني. قال الزهري شتمتني؟ قال سليمان: بل أنت شتمت نفسك. أما علمت أن للجار علىٰ جاره حقا؟ قال أبو حازم: إن بني إسرائيل لما كانوا علىٰ الصواب كانت الأمراء تحتاج إلىٰ العلماء، فكانت العلماء تفر بدينها من الأمراء، فلما رأىٰ ذلك قوم من أذلة الناس، تعلموا ذلك العلم وأتوا به إلىٰ الأمراء، فاستغنت به عن العلماء، واجتمع القوم علىٰ المعصية فسقطوا وانتكسوا، ولو كان علماؤنا يصونون علمهم لم تزل الأمراء تهابهم.

قال الزهري: كأنك إياي تريد وبي تعرض، قال: هو ما تسمع.

وعن الذيال بن عباد قال: كتب أبو حازم الأعرج إلىٰ

الزهري: عافانا الله وإياك أبا بكر من الفتن، فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك بها أن يرحمك: أصبحت شيخا كبيرا، وقد أثقلتك نعم الله عليك، فيما أصح من بدنك وأطال من عمرك، وعلمت حجج الله تعالى مما علمك من كتابه، وفقهك فيه من دينه وفهمك من سنة نبيه صلى الله عليه وسلم فرمى بك من كل نعمة أنعمها عليك، وكل حجة يحتج بها عليك الغرض الأقصى، ليبتلي في ذلك شكرك، وليبدي فيه فضله عليك وقد قال عز وجل: ﴿**لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ**﴾ إبراهيم،7. فانظر أي رجل تكون إذا وقفت بين يدي الله عز وجل، فسألك عن نعمه عليك كيف رعيتها، وعن حججه عليك كيف قضيتها، فلا تحسبن الله عز وجل راضيا منك بالتعذير، ولا قابلا منك التقصير. هيهات ليس ذاك أخذ على العلماء في كتابه إذ قال: ﴿**لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ**﴾ آل عمران،187.

إنك تقول إنك جدل ماهر، عالم قد جادلت الناس فجدلتهم، وخاصمتهم فخصمتهم، إذلالا منك واقتدارا منك، فأين تذهب عن قول الله عز وجل: ﴿**هَاأَنتُمْ هَـؤُلاء جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ اللهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾ النساء،109. اعلم أن أدنى ما ارتكبت وأعظم ما احتقبت، إن آنست الظالم، وسهلت له طريق الغي بدنوك حين أدنيت، وإجابتك حين دعيت، ما أخلقك أن ينوه غدا باسمك مع الجرمة، وأن تسأل عما أردت بإغضائك عن ظلم الظلمة. إنك أخذت ما ليس لمن أعطاك، جعلوك قطبا تدور عليه رحى باطلهم، وجسرا يعبرون بك إلى بلائهم، وسلما إلى ضلالتهم، يدخلون بك الشك على العلماء، ويقتادون بك قلوب الجهال إليهم، فلم يبلغ أخص وزرائهم، ولا أقوى أعوانهم لهم، إلا دون ما بلغت من إصلاح فسادهم، واختلاف

الخاصة والعامة إليهم، فما أيسر ما عمروا في جنب ما خربوا عليك، وما أعطوك في قدر ما أخذوا منك، فانظر إلى نفسك فإنه لا ينظر لها غيرك، وحاسبها حساب رجل مسؤول وانظر كيف شكرك لمن غذاك بنعمه صغيرا وكبيرا، وانظر كيف إعظامك أمر من جعلك بدينه في الناس مبجلا، وكيف صيانتك لكسوة من جعلك بكسوته مستترا، وكيف قربك وبعدك ممن أمرك أن تكون منه قريبا، ما لك لا تنتبه من نعستك، وتستقيل من عثرتك، فتقول والله ما قمت لله عز وجل مقاما واحدا أحيى له فيه دينا، ولا أميت له فيه باطلا؟ أين شكرك لمن استحملك كتابه واستودعك علمه؟ ما يؤمنك أن تكون من الذين قال الله عز وجل فيهم: ﴿**فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُواْ الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـذَا الأَدْنَى**﴾ الأعراف،169. «إنك لست في دار مقام، أوذنت بالرحيل فما بقاء المرء بعد أقرانه؟ طوبى لمن كان في الدنيا على وجل، ما يؤمن من أن يموت وتبقى ذنوبه من بعده، إنك لم تؤمر بالنظر لوارثك على نفسك، ليس أحدا أهلا أن ترد له على ظهرك. ذهبت اللذة وبقيت التبعة، ما أشقى من سعد بكسبه غيره، احذر فقد أتيت وتخلص فقد وهلت أنك تعامل من لا يجهل، والذي يحفظ عليك لا يغفل. تجهز فقد دنا منك سفر بعيد، وداو دينك فقد دخله سقم شديد، ولا تحسبن أني أردت توبيخك وتغييرك وتعنيفك، ولكني أردت أن تنعش ما فات من رأيك، وترد عليك ما عزب عنك من حلمك، وذكرت قوله تعالى: ﴿**وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ الذاريات،55. أغفلت ذكر من مضى من أسنانك وأقرانك وبقيت بعدهم كقرن أغضب، فانظر هل ابتلوا بمثل ما ابتليت به أو دخلوا في مثل ما دخلت فيه؟ وهل تراه ذخر لك خيرا منعوه أو علمك شيئا جهلوه؟ فإذا كانت الدنيا تبلغ من مثلك هذا في كبر سنك، ورسوخ علمك، وحضور أجلك، فمن يلوم الحدث في

سنه، الجاهل في علمه، المأفون في رأيه، المدخول في عقله؟ ونحمد الذي عافانا مما ابتلاك به.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

****

سنة الله، أن يبتلي أولياء الله، قبل أن يستحقوا بصبرهم وتحملهم في الله نصر الله.

حملة الفجار على الأبرار تعيد في مصر كنانة الله، وعرين أسد الله، عهدا عقده الشيطان مع أوليائه حلفاء الصهيونية والصليبية، أن يبيدوا جند الله.

رمي هنالك المؤمنون «بالتطرف» و«التكفير والهجرة». وأسكتت أصوات الصادقين الذين كانوا لسان الحق، ما استطاع صوت أن يندد بحلف الخزي والعار مع اليهود والمشركين مثلما فعلت.

حياكم الله يا رجال الإسلام في مصر.

وحياكم يا إخوتنا في تونس. تونس التي يزعم حكامها «المجاهدون» أنهم أنصار الحرية، أعلن قبل نكبة إخواننا، رئيس وزراء تونس أن قد حان الوقت ليتحد الديمقراطيون ضد ممثلي الظلمانية. يقصد بالديمقراطيين الشيوعيين الذين رخص لهم بالانتظام في حلبة الحزبية إلى جانب التيارات المغربة الأخرى، المستبدة منها بالحكم والمناهضة لها. ويقصد بالظلمانيين إخوتنا أهل لا إله إلا الله، هذا الشباب الطاهر الذي يريد للأمة الإسلامية

أن تخرج من ظلمات الإلحاد والظلم إلى نور الإيمان والعدل، من خزي الهزيمة أمام قوى الجاهلية إلى العزة بالله ورسوله ودينه، من بؤرة الفساد الخلقي والتخلف الحضاري إلى الاستقامة والتقدم، من الشخصية المقلدة التابعة التافهة، إلى كرامة الإسلام، وأصالة الإسلام، وشموخ الإسلام.

وبلغ حقد حكام الجبر هناك أن أضافوا إلى أنواع التعذيب والتنكيل إهانة حلق اللحي، يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم، اللحية رمز الإيمان تملأ أفئدتهم هلعا.

إنكم إخوتنا على درب الرجولة بعد ما أن أعلن حكام الجبر عن عجزهم عن التصدي للمد الإسلامي بالتعسف. انهزم الأعداء لما لجأوا إلى القهر القانوني واعترفوا بذلك، أن لا قرار لأفكارهم ونظامهم أمام الإسلام بدون منطق الهراوة السلطوية. وحتى متى يرجو تلامذة الجاهلية البقاء بين ظهراني أمة أخذت تستيقظ لإسلامها، فما يزيدها اضطهاد رجال الإسلام إلا يقظة؟

وحياكم الله يا حزب الله المجاهدين في سوريا، وأفغانستان، وإيران، وسائر ميادين الشهادة في سبيل الله.

لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد، وإن العاقبة للمتقين. ألا إن حزب الله هم المفلحون.

المنهاج النبوي
تربية وتنظيما وزحفا

الفصل الخامس (تابع)

الخصلة الثانية: الذكر تربية

الكيمياء الإلهية، والدواء والعلاج التي بها يطهر القلب، وهو مصب الإيمان وملتقى شعبه ومصدر نوره، هو ذكر الله. قال الله تعالى: ﴿**أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾ الرعد، 28. وإنما تحيى القلوب بذكر الله، والتفكر في آلائه، واستمطار رحمته، ومناجاته، والاعتذار إليه عن التقصير، واستغفاره للذنب، حتى يصبح هم المؤمن الله. في الحديث الذي رواه الحاكم في المستدرك عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**من أصبح وهمه غير الله فليس من الله، ومن أصبح لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم**».

إنه لا يستطيع حمل هم الأمة، وهو ثقيل، إلا من أصبح همه الله، وغايته طلب وجهه، فهانت عليه الشدائد، واسترخص الموت في سبيل محبوبه.

*** كتاب الله وهذيان العالم**

العالم كل ما سوى الله. وعالم اليوم تسيطر عليه الجاهلية، وقيمها، وثقافتها، ووسائل إعلامها، فلا تكاد تسمع ذكر الله. والناس من حولك غافلون، لاهون، مشتغلون بسفساف الأمور. هم منغمرون في الحياة الدنيا، لهوا ولعبا، وشكا وإلحادا، وغفلة عن الله.

هذيان العالم ملعون، أي مبعد مبعد عن الله (بفتح العين وكسرها). قال رسول الله عليه وسلم: «**الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه، وعالما ومتعلما**». رواه ابن ماجه والطبراني بإسناد حسن.

وكتاب الله هو الحبل المتين، هو الذكر الحكيم، فتربية جند الله ترتكز على الاستمساك بهذا الحبل، بهذه العروة التي من تمسك بها نجا. ثم بعد النجاء من هذيان العالم يتبطن في القلب حب الله حتى يصير القرآن خلقنا ورائدنا.

تنظيم جند الله يجعل القرآن محور العلم، ويجعل ما إلى ذكر الله من تدارس للقرآن، وفهم له، وإعداد الفكر الإسلامي الذي يحررنا من هذيان الجاهلية وفلسفتها ونظرياتها الإديولوجية، مطلبا أساسيا.

وبعد قيام الدولة الإسلامية يصبح القرآن، وعلومه، وما تفرع عنه من حكمة مادة الثقافة والتعليم والإعلام، ليصطبغ المجتمع كله بصبغة القرآن، صبغة الله، ومن أحسن من الله صبغة؟ وتكون العلوم الكونية التي يبزنا فيها اليوم الجاهليون مستنيرة بنور القرآن خادمة لأهدافه.

القرآن ذكر يربي الإرادة، والقرآن شريعة تضبط علائق التنظيم، والقرآن دستور للحكم والعلم وتغيير العالم.

من هذيان ما قبل الإسلام، وهو حديث الفكر المادي الجاهلي وفلسفاته ونظرياته الإيديولوجية، إلى لغة القرآن، أعني لغة اللسان والقلب والإيمان.

*** أصول:**

من أصول الشيخ البنا رحمه الله: «والقرآن الكريم والسنة المطهرة مرجع كل مسلم في تعريف أحكام الإسلام. ويفهم القرآن طبقا لقواعد

اللغة العربية من غير تكلف ولا تعسف. ويرجع في فهم السنة المطهرة إلى رجال الحديث الثقات».

ومن أصوله رحمه الله: «وللإيمان الصادق والعبادة الصحيحة والمجاهدة نور وحلاوة يقذفها الله في قلب من يشاء من عباده. ولكن الإلهام والخواطر والكشف والرؤى ليست من أدلة الأحكام الشرعية. ولا تعتبر إلا بشرط عدم اصطدامها بأحكام الدين ونصوصه».

ومن أصوله رحمه الله: «وزيارة القبور، أيا كانت، سنة مشروعة بالكيفية المأثورة. ولكن الاستعانة بالمقبورين، أيا كانوا، ونداءهم لذلك وطلب قضاء الحاجات منهم، عن قرب أو بعد، والنذر لهم، وتشييد القبور وسترها، وإضافتها، والتمسح بها، والحلف بغير الله، وما يلحق بذلك من المبتدعات الكبائر، تجب محاربتها. ولا نتأول لهذه الأعمال سدا للذرائع».

ومن أصوله رحمه الله: «والعقيدة أساس العمل. وعمل القلب أهم من عمل الجارحة. وتحصيل الكمال في كليهما مطلوب شرعا وإن اختلفت مرتبتا الطلب».

*** طلب الكمال:**

ما أشار إليه الشيخ البنا رحمه الله من النور والحلاوة والإلهام والكشف والرؤى الصالحة عطاء يخص الله به من يشاء من عباده المؤمنين الذاكرين السالكين طريق الحق. ومنتهى كل ذلك الفتح الأكبر الذي يحصل لأولياء الله. وهم درجات والفتح درجات. نترك الحديث في هذا لفحل من فحول الأولياء، هو الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله.

قال رحمه الله يصف حال المفتوح عليهم: «من قوي إيمانه وتمكن في إيقانه رأى بقلبه جميع ما أخبر الله عز وجل به من أمور القيامة. يرى

الجنة والنار وما فيها. يرىٰ الصور والملك الموكل به. يرىٰ الأشياء كما هي. يرىٰ الدنيا وزوالها وانقلاب دول أهلها. يرىٰ الخلق كأنهم قبور يمشون. وإذا اجتاز القبور أحس بما فيها من عذاب ونعيم. يرىٰ القيامة وما فيها من القيام والموافقة. يرىٰ رحمة الله عز وجل وعذابه» (الفتح الرباني 93).

ارجع لهذا الكتاب لتسمع واحدا من مؤمني الأمة يحدثك بما فتح الله علىٰ قلبه. ولا تخلط وتسئ الفهم، فالفتح رؤية قلبية بحاسة يفتحها الله في القلب. ولا تظن أنك ترىٰ كل ذلك بحاسة الشحم. فتح الله لنا ولك.

ارجع إلىٰ كتاب «حياة الصحابة» للشيخ يوسف الكاندهلوي لتقرأ ما كان يحدث من فتح لأصحاب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم. وإنما أتينا بشهادة رجل متأخر زمنا عسىٰ أن تستيقظ هممنا لنطلب إلىٰ الله عز وجل كمال ذواتنا.

والمؤمن الرشيد إن عثر علىٰ ولي مرشد يسلكه وُعورات الطريق لا يسأل الله الفتح طلبا لحظ نفسه والكرامات. إنما يطلب من الله أن يغفر له، ويرفعه في درجات القربة ويعطيه كمال الإيمان والإحسان.

فإن الفتح كرامة، والاستقامة إلىٰ الله هي مطلوب القوم. ورحم الله الشيخ البنا فقد حذر من مزالق الاعتماد علىٰ الكشف وسائر المظاهر النوارنية التي قد تتماثل في شكلها مع المظاهر الشيطانية حتىٰ لا يميز الجاهل بين أولياء الرحمان وأولياء الشيطان.

*** الأوراد:**

يقول الصالحون من هذه الأمة: «من لا ورد له فلا وارد له». والوارد هو مزيد الإيمان الذي يقذفه عز وجل في قلب المتبتلين الذاكرين الله كثيرا المتهجدين.

كان لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أوراد وأحزاب (أي أجزاء من القرآن ونوافل من الخير يومية لا ينامون عنها)، أنظر كتاب «حياة الصحابة».

يكون لجند الله أوراد أي أعمال دائمة من كل شعب هذه الخصلة. فمقل ومكثر بالتدرج، إلى أن يقوى إيمان الوارد، فيصبح ذكر الله غذاء ضروريا، وتصبح الكلمة الطيبة لا يزال لسانه رطبا بذكرها.

ولا بأس أن يتواصى الإخوة ويتنافسوا في الذكر. فما جاء من أذكار وعبادات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم محدودة بالعدد، فلا مكان لتجاوزها. وما ترك فيه لنا الخيار أو ندبنا فيه إلى الإكثار أكثرنا.

تحديد العدد ورفعه بالتدريج سياسة للنفوس الكالة الكسول وليس تشريعا. وبعضهم يندد بمن يعين لنفسه عددا من النوافل والأذكار والدعوات والقرآن أو يحدده له غيره، يعتبر ذلك افتياتا على الشارع. وما هي إلا سياسة. المحذور أن يتقدم أحد بين يدي الله ورسوله فيما جاء منصوصا على عدده. والمكروه أن تتعدى دائرة السنة، كأن تختم القرآن في أكثر من شهر أو أقل من ثلاث. وليس مذهبنا أن نحدد لأحد وردا.

وللورد، تحديدا ودواما، سند في قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان عن عائشة رضي الله عنها: «**أحب الأعمال إلى الله أدومها ولو قل**». الدوام معناه تكرار عدد العبادة يوميا. وهذا معنى الورد.

وما بعد الورد من استغراق الوقت كله في الذكر، سنده حديث عائشة الذي رواه مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يذكر الله تعالى على كل أحيانه. وسنده ما رواه ابن حبان وابن السني والطبراني والبيهقي عن معاذ رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه

وسلم قال: «**أحب الأعمال إلى الله أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله**».

لا إله إلا الله أعلى شعب الإيمان. فطالب الحق، ومريد الله، وسالك الطريق إليه، من نصح نفسه، وانتصح بوصية الله ورسوله، فجعل هذه الكلمة الطيبة على لسانه وفي قلبه على كل أحيانه حتى يحبه الله.

الذكر تنظيما

ذكر الله غايته أن نتولى الله بالقيام بعبادته كما أمرنا حتى يتولانا هو برحمته كما وعدنا.

ومن ثم فالذكر ليس فقط مناجاة في الضمائر، وكلمات على اللسان، وشعائر ظاهرة يعظمها المؤمن. بل الذكر الوقوف بين يدي الله صفا في الصلاة، يتقدم إليه جند الله لأداء مراسيم العبودية، ثم إشاعة حاكمية الله في علاقات جند الله مع الله، وفي علاقاتهم استعدادا لتطبيق شريعته يوم يؤول الحكم إلى المؤمنين، في كل مجالات الحكم، والسياسة، والاقتصاد، وشكل المجتمع، والعدل فيه، والثقافة، والجهاد كله.

*** الولاية لله:**

ينتقل جند الله من حال الغفلة وهذيان العالم إلى حال الذكر.

في كل حركة، وأمام كل موقف مستجد، وعند كل عمل، يصحح جند الله النيات، ويضعون أسئلة يجاب عنها جواب الذاكرين. فعن سؤال من نحن؟ يستبطن المؤمنون جواب: جند الله. وعن سؤال الولاء، جواب: ولاؤنا لله. وعن سؤال الغاية، جواب: وجه الله. وعن سؤال القائد، جواب: رسول الله. وعن سؤال الحاكم، جواب: الله. وعن سؤال دستور الحكم: كتاب الله. وعن سؤال الوسيلة: الجهاد في سبيل الله. وعن سؤال استعدادنا: الموت في سبيل الله.

نقلة جماعية من معاني التجمع السياسي والتنظيم الأرضي إلى معاني النسبة إلى الله ورسوله وكتابه.

ضاعت هوية المسلمين في متاهات القومية والحزبية والإديولوجية والعصبيات والولاءات الأرضية.

ذكر الله في حق جند الله أن يعيدوا صياغة الروابط العادية الغافلة فيفشوا فيها معاني الإيمان فيما بينهم، استعدادا ليعكسوا ذلك على المجتمع المسلم كله، سياسة، وتعليما، وتخلقا واقتصادا، وشعورا، وسلوكا، وعبودية لله عز وجل.

لا بد من نقلة جماعية لنستعيد بيننا هوية الإيمان، لتقارع من مكان العزة بالله، وقوة الاعتماد عليه، ونور اتباع رسوله، وحق شريعة كتابه، هوية الباطل.

إذا كان جند الله واحدا واحدا من الذاكرين الله كثيرا سهل استعدادهم جماعة ليكون ولاءهم للحق سبحانه من القوة بحيث يهيئهم للجهاد والموت في سبيل الله. فالجهاد والموت في سبيل الله هما الخصلة الغائية لجماعة أولياء الله. وهما الوسيلة، وهما ثمن رضى الله سبحانه. في الحديث: «**ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة**»!.

لن تكون دولة إسلامية، ولا خلافة إسلامية، ولا جهاد إسلامي، إن لم تحدث في إرادة جند الله وفكرهم، في قلبهم وفي جوارحهم، هذه النقلة، نقلة الهوية والشخصية والسلوك.

الناس عباد الله جميعا بنسبة الخلق والتدبير منه تعالى ونسبة الافتقار منهم.

لكن جند الله، زيادة على عبودية القهر هذه، يكتسبون بالإقبال على الله تعالى عبودية الإرادة والاختيار من جانبهم، والرحمة والنصرة من جانبه عز وجل. فالمؤمن يحقق الله له، لمن يشاء، عبودية كمال ولايته، وجماعة المؤمنين يحقق الله لهم النصر والتمكين في الأرض، وكرامة المجاهدين في أية عاقبة من إحدى عاقبتي الحسنيين.

*** عزاء الجاهلية:**

رواسب الماضي بين الواردين والأعضاء في التنظيم يراد لها أن تندثر.

فإذا كان سوء الخلق الفردي مانعا من صلاحية الفرد للدخول في الصف، فإن ثمة تخلقا سيئا لا يأتي من قبل طبع الأفراد، بل من طبيعة كل تجمع بشري. أقصد طبيعة الولاء للإلف القريب، ولأسرة الدم، وللقوم والوطن. (الدفاع عن حق الأمة وتراب الوطن الإسلامي فرض).

الولاء لله، والولاية بين المؤمنين، يناقضان مناقضة تامة الولاء العرقي والقومي. والقومية داؤنا ووباؤنا المفرق للمسلمين على حيثيات النسب، كما يفرقهم على حيثيات السياسة الفتنوية في حدود هذه الدويلات القومية.

عندما يرد علينا الوارد من طلاب الحق المرشحين للانضمام، يحتل إلف أسرة الإيمان مكان عاداته العاطفية، فيشجع على ذلك. لكن ينبغي أن ترفع التربية شعور الولاء تدريجيا حتى يعم كل إخوانه في التنظيم، وكل المؤمنين المجاهدين، في كل الأقطار. على أن لا يتحول هذا الولاء الواسع إلى عاطفة فضفاضة تحل ما يريد التنظيم جمعه. ففي مراحل البناء يكون الولاء على مستوى المرحلة. فولاء الطاعة لأولي الأمر في القطر، قبل أن تتهيأ الوحدة، يجب ألا يناقش بالولاء العام.

ومتى توحدت قلوب جند الله على حب الله ورسوله، وعلى مداومة الحضور بين يدي الله ورسوله، ذهبت الطبيعة الإلفية وما يتفرع عنها من عصبيات.

وقد سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم العصبيات الدموية والقومية عزاء جاهليا، ووصف لنا كيف نحارب هذا العزاء أشد الحرب. فكل رواسب التعصب للأشخاص (الصحبة في الله والأخوة المطلوبان نقيضان للتعصب المفرق)، أو الماضي، أو التكتلات داخل التنظيم، تحارب أشد الحرب، إن لم تفد التربية في رفع معناها، أو تسرب إلى الصف شخصيات فجة.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من تعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه بهن أبيه ولا تكنوا**». رواه البخاري في الأدب وأحمد والنسائي وغيرهم.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه تطبيقا للأمر الشريف: «من اعتز بالقبائل فأعضوه، في رواية فأمصوه».

وهذه الكلمات عند العرب أقذع ما يسمع. لذلك أمرنا أن نستعملها لمحاربة أفتك الأمراض.

ونوسع مفهوم هذا الأمر الشريف إلى ميدان الدعوة، ومحاربة الأفكار المستوردة. فنكتب ونخاطب بكل ما ينقض فكر الجاهليين وأذنابهم من بيننا، وبكل ما يسفه القومية العصبية وحملة شعاراتها. نرفع النكير على كل ما يشتت الأمة ويمنع من وحدتها.

لا إله إلا الله تجمع المسلمين. تجمعهم إلى الله قلوبا محاسبة على نياتها، وأجساما وذواتا محشورة إلى دارها بعد الموت. وتجمعهم شعوبا وقبائل ليعرفوا الله فيتعارفوا ويتآلفوا ويقوموا لأمر الله، لا كتخبط العصبيات، عصبيات الذين ﴿**لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ**﴾ البقرة، 275.

وأي شيطان ومس أكثر إفسادا للتنظيم من التعصب للرأي، والأشخاص والاتجاهات، وللأمة من العصبيات القومية، والمذهبية، والعرقية، والطبقية.

لا بد لجند الله من تذويب الكيانات الشيطانية أول ما يفعلون بعد قيام الدولة الإسلامية. كيان الظلم الطبقي، وكيان الانتماء المفرق للمسلمين، وكيان الاقتصاد التابع للجاهليين واليهود، وسائر كيانات الجهل والفقر والمرض.

الولاء لله ليس آية تتلى، وصلوات منعزلة في المساجد، ورسوما على التلفزيون. بل اتجاه عملي لتكون آيات الله شرعا يحكم كل الحياة، والصلاة شعار وحدة بين يدي الله، والمساجد بوتقة لصياغة حضارة الأخوة الإسلامية بين العباد.

شعب الخصلة

*** الشعبة الثانية عشرة : لا إله إلا الله**

مهدنا لهذه الشعبة العليا بشعب الصحبة، وإن كانت هي السابقة والمقصودة، لأسبقية الدليل يمشي بك إلى المقصد، والرفيق على الطريق.

شهادة أن لا إله إلا الله مع لازمتها شهادة أن محمدا رسول الله هي أصل الإسلام، والركن الركين في الإيمان. شعبة هي أم الشعب، ومنبع الفيض الإيماني، وجماع الخير. هي الكلمة الطيبة قولا واعتقادا. هي الشجرة الطيبة أصلا وفروعا وطيبا وثمرا. قال ابن أبي جمرة رحمه الله في تفسير قوله تعالى: **﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾** إبراهيم، 24-25، ما نصه: «إن الله شبه الإيمان بالشجرة في قوله تعالى: **﴿ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾**. فالكلمة هي كلمة الإخلاص **(لا إله إلا الله)**، والشجرة أصل الإيمان، وأغصانها إتباع الأمر

واجتناب النهي، وورقها ما يهتم به المؤمن من الخير، وثمرها عمل الطاعات، وحلاوة الثمر جني الثمرة. وغاية كماله (أي الثمر) تناهي نضج الثمرة، وبه تظهر حلاوتها».

فـلا إله إلا الله في المثل الذي ضربه الله لنا توازي وتماثل الإيمان في تأصلهما، وتفرعهما، وثمرتهما، وحلاوتهما. بل الكلمة الطيبة هي أصل الإيمان وحقيقته، منها يتفرع، وعنها يصدر، ومن معينها يتدفق الرافد الأعلى من روافده.

لا إله إلا الله تجمع الأمة المسلمة. فكل أهل التوحيد أهل القبلة إخوة لنا مهما كان الخلاف المذهبي، ومهما كانت بدع بعضنا وفجورهم، إلا بدعة تخرج من أصل التوحيد، أو فجور يتعدى مرتكبه ويفسد الأمة.

لا إله إلا الله تجدد الإيمان كما جاء في الحديث: «**جددوا إيمانكم**. قالوا: كيف نجدد إيماننا يا رسول الله؟ قال: **أكثروا من قول لا إله إلا الله**».

ورب معترض ومتعالم على الله ورسوله يأتي برأيه يقول: «كلمات وردت في السنة من تسبيح وتحميد وغيرهما. فلم التركيز على كلمة الإخلاص دون غيرها؟».

اعلم يا أخي أن الله ورسوله أعلم. وقد وصف لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصية الكلمة الطيبة في تجديد الإيمان. فمن اتبع وجرب عن يقين عرف. وذكرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خصائص أذكار وعبادات أخرى، فالمتبع اليقظ يميز. روى مسلم عن أبي مالك الأشعري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان. وسبحان الله والحمد لله تملآن** (أو تملأ) **ما بين السموات والأرض. والصلاة نور والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك**» الحديث.

وقال صلى الله عليه وسلم فيما روى الإمام أحمد والبيهقي: «**سبحان الله نصف الميزان، والحمد لله تملأ الميزان، والله أكبر تملأ ما بين السماء والأرض. والطهور نصف الإيمان والصوم نصف الصبر**» حديث صححه السيوطي. فترى التسبيح والتحميد والتكبير تعطي الثواب الجزيل، وهو شيء يغشاك. وترى الطهارة نصف الإيمان لكنها لا تجدده. وذكر المعصوم المحبوب صلى الله عليه وسلم أن لا إله إلا الله، الإكثار من قولها، هي الكيمياء التي تجدد الإيمان، وتقويه، وتبعثه. كما ذكر الله سبحانه أن القرآن شفاء لما في الصدور وهدى ورحمة. فخذ لنفسك من طب الكتاب والسنة إن كنت من الموقنين.

*** الشعبة الثالثة عشرة : الصلاة**

الصلاة لوقتها وفي المسجد مع الجماعة هي الضابط للمسلم، إذ تنقله من الوقت السائب، المقيد بعلاقات العمل والراحة والطعام واللهو، إلى الوقت الإيماني، المقيد بداعي الله خمس مرات في اليوم ومرة في الجمعة. تنقله من المكان السائب المنطلق في ساحة الغفلات، إلى بيت الله يلبي النداء رمزا للطاعة والانقياد. تنقله من الوحدة السائبة، وضياع الرفقة الغافلة، إلى صف المصلين المتراصين بين يد الله.

وينبغي الحرص على صلاتي الصبح والعشاء في المسجد والجماعة. وينبغي أن لا يعذر الوارد على تأخير الصلاة عن وقتها ولا على التراخي في حضور الجماعة والمسجد.

روح الصلاة الخشوع فيها. وهذا لا يأتي إلا بصحبة الخاشعين، وبالكلمة الطيبة حين تخالط بشاشتها القلوب. فميزان إيمان كل وارد وكل مؤمن ومؤمنة بينه وبين نفسه ما يجده من خشوع في صلاته. ينظر هل زاد إيمانه أو نقص.

ويحمل كل امرئ نفسه على الحضور في كل صلاته ما أمكن. فإنه لا يكتب له من صلاته إلا ما حضر فيه بقلبه ونيته مع الله عز وجل. والغفلات من طبيعتنا. فأدنى ما علينا، وأقصى ما نستطيع، أن نجتهد لنذكر الله كلما نسينا. ونستغفر الله ثلاث مرات دبر الصلاة ليجبر غفلاتنا ويغفر تقصيرنا.

*** الشعبة الرابعة عشرة : النوافل**

إذا علم العبد أن الله تعالى قسم الصلاة بينه وبين عبده فهي مناجاة، ويعلم أن الله يقبل عليه في الصلاة. وأنه أقرب ما يكون من ربه وهو ساجد، وأن التقرب إلى الله عز وجل يكون بالفرض أولا، فإذا تم الفرض أركانا وخشوعا صح النفل. إذا علم هذا كان حرصه على النوافل أقوى من داعي الاقتصار على الفرائض.

يطلب إلى المؤمن أن يحافظ على السنن الرواتب، والوتر من آخر الليل، ولا يترك أن يقرأ كل ليلة بالآيتين من آخر البقرة للحديث الوارد في ذلك. وصلاة الضحى. والكيس من واظب على صلاة الاستخارة يوميا يتخذ به عند الله عز وجل وسيلة ليلهمه رشده في كل أمر. ولا بأس من المواظبة على صلاة الحاجة لإبداء الافتقار إليه سبحانه والاعتماد عليه.

*** الشعبة الخامسة عشرة : تلاوة القرآن**

القرآن شفاء لما في الصدور، شفاء ورحمة للمؤمنين. على تلاوته وحفظه ومدارسته والعكوف عليه مدار طب القلوب وإعدادها لتمتلئ إيمانا. هو النور.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ما اجتمع قوم في بيت من**

بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه فيما بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وذكرهم الله فيمن عنده». رواه مسلم وأبو داود وغيرهما.

وعد من الله ورسوله. فمن يسكن أنفسنا من اضطراب الحياة اليومية، وموجان الفتنة في العمل والشارع والبيت، إلا سكينة مجالس القرآن؟ تغشانا فيها الرحمة ويذكرنا الله فيمن عنده!

كل مجالسنا وأحاديثنا تدور حول القرآن ومعانيه، حول وعده ووعيده، حول بشارته ونذارته، حول رحمة الله وحكمته، حول ذكر الله نفسه بالعزة، والعظمة، والألوهية والربوبية، وذكره أحبابه بخصال الإيمان، والمصير إلى الجنان وذكره أعداءه بخصال الكفر، والنفاق، والمصير إلى النار، حول قصص من سبقنا لنتعظ، حول أحكام الله لنتقيد بها.

لا أقل من أن يتلو المؤمن جزءا (حزبين) كل يوم صباحا ومساء. وللتلاوة آداب أنظرها في كتاب النووي: «التبيان في آداب القرآن».

والتجويد علم يأخذ منه المؤمنون حسب الاستعداد، ولابد لكل من حد أدنى يصون لسانه من إساءة الأدب مع كلام الله عز وجل.

ولاستماع القرآن آداب.

ويكون للمؤمن ورد للحفظ، يبدؤه بالسور والآيات الفاضلة القصيرة، مثل آيات الكرسي، وسور يس، والسجدة، والملك، وسور المفصل. فما حفظ أكثر من تلاوته والقيام به لئلا يتفلت.

ثم يعمد إلى الزهراوين البقرة وآل عمران، ويعقد مع الله تعالى عقدا أن يحفظ القرآن كله قبل موته، ويستعينه على ذلك، ويبذل كل الجهد.

فإنه إن مات دون غايته وقد بذل الجهد، يبعثه الله إن شاء الله على نيته يوم يقال لقارئ القرآن: اقرأ وارق. يوم التغابن والحسرة إذ يقرأ المجاهدون فيرقون أمام أعين من فاتهم الحفظ.

*** الشعبة السادسة عشرة : الذكر وأثره**

يقول رسول الله صلى الله عليه فيما يرويه عن ربه عز وجل: «**أنا مع عبدي إذا هو ذكرني وتحركت بي شفتاه**» رواه أبو داود والحاكم وابن حبان.

ويقول رواية عن الله تعالى: «**أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني. فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي. وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم وإن تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعاً. وإن أتاني يمشي أتيته هرولة**» رواه الشيخان والترمذي والنسائي وابن ماجة.

جل الله! ما أعظم كرمه ورحمته بنا. يعرض علينا صحبته وأن يكون معنا، وأن نتقرب إليه ليتقرب إلينا، وأن نسير إليه ليسارع إلينا.

جل الله! ما يعي هذا ويعمل عليه إلا عبد نور الله بصيرته، فعلم أن وعد الله حق، وأحيى الله قلبه، فخرج من بين أموات القلوب الغافلين عن الله. وما يحيي القلوب إلا ذكره سبحانه.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت**» رواه البخاري ومسلم، غير أنه قال: «**مثل البيت الذي يذكر الله فيه...**».

آثار ذكر الله فيك إحياء قلبك. وآثاره في مجتمع الغفلة والفتنة أن يسري شفاء ذكر الله في الجسم المريض. تذكر الله في ملأ عندما تؤذن للصلاة، وعندما ترفع شعار التوحيد بين المتنكرين لدينهم، وعندما تدعو هذا وذاك وهذه الجماعة وتلك إلى الله. تحاضر، وتحاج، وتخاصم في الله. كله ذكر.

والورد المواظب عليه بآداب الذكر، ومنها الطهارة واستقبال القبلة والحضور القلبي، منه تأتي القوة التي تحملك إلى محافل الدعوة إلى الله والجهاد في سبيله.

*** الشعبة السابعة عشرة : مجالس الإيمان**

روى الإمام أحمد بإسناد حسن عن أنس رضي الله عنه قال: «كان عبد الله بن رواحة رضي الله عنه إذا لقي الرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: تعال نؤمن ساعة! فقال ذات يوم لرجل، فغضب الرجل. فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يارسول الله! ألا ترى إلى ابن رواحة يرغب عن إيمانك إلى إيمان ساعة! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: **يرحم الله ابن رواحة، إنه يحب المجالس التي تتباهى بها الملائكة!**».

وفي الباب الأول من كتاب الإيمان للبخاري قوله: «وقال معاذ : اجلس بنا نؤمن ساعة».

وعند الإمام أحمد: «كان معاذ بن جبل يقول للرجل من إخوانه: اجلس بنا نؤمن ساعة. فيجلسان فيذكران الله تعالى ويحمدانه».

وروى مسلم والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يقعد قوم يذكرون الله عز وجل إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده».

للناس في مجالس الذكر الجماعي مقالات وخلاف. ومذهبنا تجنب ما يفرق الصف. فمجالس القرآن تلاوة وتدارسا، ومجالس الإيمان التي تتنزل عليها السكينة، وتغشىٰ أهلها الرحمة، وتحف بهم الملائكة، من أهم شعب الإيمان. ولا ينبغي أن نواجه بما يخالف الرحمة والسكينة وصحبة الملائكة ما نراه من تلاوة جماعية وذكر جماعي درج عليهما الناس. لا نصدم المسلمين لمجرد أن التلاوة جماعية والذكر جماعي.

أما جند الله المتجددون المجددون ففيما أوردناه من أحاديث برنامج لجلسات الأسر وجلسات الشورىٰ حتىٰ تكون كل مجالسهم مجالس قرآن وذكر وإيمان، سواء ما كان منها منظما، وما أتىٰ بمناسبة اجتماعية. ولا حاجة أن تكون التلاوة جماعية ولا الذكر. فإن تلاوة القرآن يجودها واحد تتيح لنا ثواب الاستماع، وقد أمرنا به كما أمرنا بالتلاوة. وهذا لا يتأتىٰ لا تجويدا ولا استماعا بالاشتراك كما درج الناس. والذكر كذلك لا داعي لإثارة الخصام حول معنىٰ قوله صلىٰ الله عليه وسلم: «**يذكرون الله**» هل يذكرون جماعة أو فرادىٰ. نحن في غنىٰ عن تبذير الجهد في الخلافيات.

ولنحذر أن يمر مجلس من مجالسنا دون أن نذكر فيه الله فيكون علينا ندامة وترة كما جاء في الحديث. ولتتخلله الموعظة، لا سيما إذا كان مجلسا تنظيميا نتفرغ فيه لدراسة حركتنا علىٰ الأرض بين الناس ومشاكل الناس.

وللمجالس كفارة تحفظ ولا تنسىٰ، وهي كما جاء في الحديث الصحيح: «**سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك**» وزادت روايات حسنة صحيحة «**عملت سوءاً وظلمت نفسي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**».

*** الشعبة الثامنة عشرة : التأسي بأذكاره صلى الله عليه وسلم**

نجد في كتاب «المأثورات» للإمام البنا، وكتاب «الأذكار» للإمام النووي، وهو من أوسع الكتب في أذكار رسول الله صلى الله عليه وسلم زادا نافعا من الأذكار المأثورة. فمع التركيز على كلمة التوحيد أعلى شعب الإيمان نعطي للتسبيح والتحميد والتكبير والحوقلة وسواها من الأذكار الواردة حقها، في أوقاتها، وبأعدادها، كما وردت في السنة.

ونحفظ جوامع الذكر النبوية، ونحافظ على الأذكار الواردة عقب الصلوات، وفي الصباح والمساء، وعند الدخول والخروج، وعلى الأذكار الواردة في الاستعاذة، وعلى الأذكار غير المقيدة. يحفظ المؤمن منها ما تيسر تباعا. فقد جاءتنا من الحبيب صلى الله عليه وسلم كلمات محفوظة لكل مناسبات الحياة، ولكل منها فضيلة، ومن كل منها يسري إلينا مزيد من النور والإيمان.

*** الشعبة التاسعة عشرة : الدعاء وآدابه**

روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**من لم يسأل الله يغضب عليه**».

وهذا ينظر إلى قول الله عز وجل: ﴿**قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ**﴾ الفرقان، 77.

فمقام العبد ومقام جماعة المؤمنين المستضعفين في الأرض التذلل بين يدي الله عز وجل، وإظهار فقرنا إلى مدده وعونه وهدايته.

وللصلاة أدعيتها السنية كما لكل الحالات أدعيتها. كدعاء الاستخارة والحاجة.

وللدعاء آداب منها أن لا يعجل ويقول: دعوت فلم يستجب لي،

ومنها ألا يرفع رأسه في دعاء الصلاة، ومنها أن يظهر غاية المسكنة، وأن يتباكي تضرعا لله تعالى، ومنها الحضور القلبي لكي لا تصبح الأدعية كلمات تلاك، ومنها ألا يدعو على نفسه وأهله وماله، ومنها أن يرفع يديه ويمسح بهما وجهه، ومنها الدعاء في الجماعة تناوبا، يدعو واحد ويؤمن الباقون.

ويختم المؤمنون مجالسهم بتلاوة سورة العصر كما كان يفعل الصحابة رضي الله عنهم وبعدها الدعاء بالتناوب.

ومن المؤكد أن ندعو الله تعالى بأسمائه الحسنى، كما أمرنا في كتابه، حين ينزل ربنا تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا يقول: هل من تائب، هل من مستغفر. وأن نلتمس دعاء الصالحين، ودعاء من يستجاب لهم كالمظلوم، والمسافر، والوالدين، والصائم حتى يفطر، والإمام العادل.

ودعوة المؤمن لأخيه عن ظهر الغيب مستجابة. فلا نغفل ذلك، نقدم بين يدي الله عز وجل مصاعبنا ومشاكلنا بعد أن نتخذ أسباب حلها. فمن خاصم أخا له فليدع أحدهما للآخر عن ظهر غيب.

*** الشعبة العشرون : التأسي بدعواته صلى الله عليه وسلم**

رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمنا بالله، يعرف الخير فيدعوه به، والشر فيستعيذ منه. فنتبع كلماته الشريفة في الدعاء، كل دعاء بمناسبة، ونحفظ من ذلك نستكثر. فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الأدعية الجامعة، وأدعية المناسبات، وأدعية الأوقات، وأدعية أثناء العبادات، وأخرى في الأكل والشرب والعادات.

ونحفظ أدعية القرآن مع الانتباه إلى مناسبتها، حتى نأخذها عن

الله عز وجل، نتضرع إليه كما تضرع إليه أحبته التي أوردها الحق سبحانه على لسانهم. فورودها تعليم لنا أن نكون له سبحانه عبيدا كما كان أنبياؤه وأولياؤه.

*** الشعبة الحادية والعشرون : الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم**

روى مسلم وأصحاب السنن عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشرا**».

فإن كان هذا فضل الصلاة على الحبيب صلى الله عليه وسلم، فكيف لا يستكثر منها المؤمن. وإنه لشح ما له مثيل أن يكتب المؤمن ذاكرا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكتب بين قوسين صادا صماء، ويحرم نفسه وقارئه من ذلك الفضل العظيم.

نكتفي بالصيغ الواردة في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وهي كثيرة. والصلاة الإبراهيمية في التشهد وغيره هي العمدة. لا تذكر السيادة في الصلاة لكن لا مشاحة خارجها. ومن علمائنا من يحرصون على أن يذكر الاسم الشريف في الصلاة الإبراهيمية دون لفظ السيادة مطلقا. فلا نتخاصم على ذلك، ولا بأس.

صلاتنا على الرسول الكريم على الله عز وجل تبلغه، ويبلغه سلامنا، كما جاء في الحديث. فلنتأدب مع إمام الأنبياء وخيرة الخلق صلى الله عليه وسلم. وأول هذه الآداب تعظيمه في أنفسنا، ومحبته الموصولة بمحبة الله لا تنفك. ومن الآداب أن نهدي ثواب صلاتنا عليه لروحه الشريفة. ومنها أن نكثر من الصلاة عليه يوم الجمعة.

ولنحذر أن نبعد عن رحمة الله إن ذكر عندنا اسمه الحبيب فبخلنا عن الصلاة عليه، ومن هذا البخل الشنيع صاد بعضهم الصماء.

ولا يفوتنا كما يفوت الكثيرين أن المقصود من الصلاة عليه والتسليم والإكثار منهما هو صحبته ومحبته. فإننا إن أكثرنا ذكره كما أمرنا أصبحت صورته ومعناه في قلوبنا بمثابة النور الذي نهتدي به إلى ذكر الله ومحبته. نتيجة الصلاة على المحبوب المجتبى صلى الله عليه وسلم وصلتنا الدائمة به. فالصلاة صلة.

الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم مفتاح الخير، لذلك أوصى بعض سلفنا الصالح أن يبتدئ المؤمن دعاءه ويختمه بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، يقول: «**فإن الله تعالى أكرم من أن يقبل الصلاتين ولا يقبل ما بينهما**».

*** الشعبة الثانية والعشرون : التوبة والاستغفار**

الإسلام رحمة. وباب للعصاة والغافلين ومن يعلم الله عز وجل ما في قلوبهم من هذه الفئات المختلفة في مجتمعاتنا هو التوبة.

في انتظار أن يأتي الحكم الإسلامي بالرحمة الموعودة تحت ظل الخلافة على منهاج النبوة، يتهيأ جند الله، يتبوؤون فسحات رحمة الله، بالإقبال على مولاهم تبارك وتعالى.

وأول الإقبال توبة نصوح بشروطها، وهي العقد مع الله أننا رجعنا إليه نادمين، والإقلاع عما كنا فيه من الفواحش والعصيان وترك الإصرار بعد رد المظالم إلى أهلها.

تنحل عقد الوارد، ويستوي عند المؤمن الشدة والرخاء رضى بالله تعالى، عندما يستحضران أن الله تعالى يفرح بتوبة عبده.

يجدد المؤمن التوبة إلى الله على كل أحيانه. فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يا أيها الناس توبوا، فإني أتوب في اليوم إليه مائة مرة**» رواه مسلم والترمذي.

ويستغفر المؤمن ربه سبحانه في الأسحار. ويكثر من الاستغفار. ويستعمل الصيغ الواردة، سيما سيد الاستغفار. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ما استطعت. أعوذ بك من شر ما صنعت. أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي ذنوبي. فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**» قال: «**من قالها من النهار موقنا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة. ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة**» رواه البخاري والترمذي والنسائي.

هذا الدعاء عهد عند الله، روحه أن تكون موقنا به وحاضرا مع الله عند التضرع به.

*** الشعبة الثالثة والعشرون : الخوف والرجاء**

نحن في تعاملنا مع الله عز وجل ما بين خوف ورجاء. عمل قاربنا فيه نرجو عند الله قبوله وثوابه. لكن يمنعنا من الغلو في الرجاء، وهو غرور ينحدر بنا إلى التهاون في أمر الله، ما نعرفه من نفوسنا من تقصير. فنعمل بلا ونى ولكن نصحب عملنا بالاستغفار من التقصير والهفوة والفلتة الملازمة للبشر.

المجتهدون في عبادة ربهم وذكره يتعاورهم الخوف والرجاء وذاك ما يليق بالعبودية. قال الله تعالى يصف المؤمنين الخاشعين الذاكرين: ﴿**تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً**﴾ السجدة16. لا راحة دون محاب الله، ولا بخل عن البذل في سبيله، والقلب خاشع يخاف ويرجو.

يجيء المؤمن ساعات قبض وخوف، فيعالج نفسه ويعالج إخوته بذكر سعة رحمة الله تعالى، وتجيئه ساعات بسط ورجاء وعلاجها ذكر المشيئة الإلهية والخاتمة.

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير الخوف من الله عز وجل، كثير البكاء من خشيته، كما كان الصحابة الكرام رضي الله عنهم. هذا ما يليق بالعبد وما يتقرب به إلى الله سبحانه: التذلل والانكسار.

*** الشعبة الرابعة والعشرون : ذكر الموت**

عالم الجاهلية وعالم الفتنة وعالم الهذيان والهوس والغفلة، عوالم منقطعة عن الله سبحانه. المادية الوضعية فلسفة الإنسان الذي أيس مما عدا ما يحسه، ورضي أنه دابة يقطع وجودها الموت، ويهلكها الدهر.

حضارة الجاهلية التي تبطنت عقول بعض أبنائنا، وغزت ثقافتنا وبيوتنا وحياتنا العامة والخاصة، حضارة تكفر بالله وباليوم الآخر والبعث والمعاد والجنة والنار.

وحضارة الإسلام ليست كذلك. فالدنيا قنطرة ودار بلاء وامتحان، تتزين لتفتن الناس. فيستمد المؤمنون القدرة على مقاومتها من إيمانهم بأن بعد الموت سؤالا وبعثا، وحسابا وجزاء.

ففيما نربي ونكتب ونذكر، يجب أن يكون ذكر الموت هادم اللذات كما وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم جزءا لا يتجزأ من حديثنا، وهم الآخرة غالبا على هم دنيانا، حتى إذا أصبح الله عز وجل هو همنا وقبلة همتنا كان رضانا به وعكوفنا على بابه حاديا لنا على طريقنا إليه تبارك وتعالى، عبر مشقات الدنيا، وسكرات الموت، ومثوى القبر، وهول الحشر، ودقة الحساب، ومعبر الصراط، ودار المقامة.

الخلافة على منهاج النبوة تريد منا حضورا ثقيلا قويا على الأرض لنغالب الأعداء، وننتج، ونصنع، ونتسلح، ونخوض الأسواق العالمية، ونزاحم العالمين بالأكتاف.

فلكيلا تغلبنا جاذبية الأرض فنخلد إلى القيم المادية، وتذوب حياتنا فيها، نربي أجيالا مهاجرة إلى الله، عابرة إليه، الموت بين عينها، تطلبه استشهادا في سبيل الله.

موقفان من الموت عند المؤمن: موقف تخشع وتدبر واستعداد، وهذا عام مطلوب من كل المسلمين. وموقف إيجابي هو موقف المتحفز للجهاد، المشتاق إلى لقاء الله، المستميت في سبيله عز وجل جهادا.

ويجمع الموقفين كون العبد عابر سبيل شاء أم أبى. فلأن يكون من الشهداء المقتحمين على الموت جهادا خير من أن ينتظرها قعودا متوجسا.

روى البخاري واللفظ له والترمذي بنحوه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي فقال: «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**». وكان ابن عمر يقول: «إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك».

ولكي يكون ذكر هادم اللذات جزءا من حياتنا، أمرنا الشارع أن نعود المريض، وجعل لنا في ذلك أجرا جزيلا، وأمرنا بالدعاء له ومواساته وتصبيره. وزيارة المرضى من أهم وسائل الدعوة، لأن المريض في حالة ضعفه وابتعاده عن عاداته أقرب أن يسمع ويتوب.

وللموت آداب وفضائل في تجهيز الميت، وللصلاة عليه، وتشييع جنازته، والدعاء له، وتعزية أهله، وقد سبق في مقدمة الخصلة وجوب محاربة البدع في عبادة القبور.

وعلى المؤمنين أن يتنافسوا في مباشرة المريض والميت، وزيارة القبور، اتعاظا وتعرضا لنفحات الله. في حضارة الجاهليين لا يذكر الموت، وتصم الأذان وتوارى الجيف لئلا يراها الناس. وعندنا عكس ذلك تماما، إذ نحتفل بجنازتنا. قال رسول الله صلى الله وسلم لأبي ذر: «**زر القبور تذكر بها الآخرة، واغسل الموتى فإن معالجة جسد خاو موعظة بليغة. وصل على الجنائز لعل ذلك يحزنك، فإن الحزين في ظل الله يوم القيامة**» رواه الحاكم وصححه، وصححه الذهبي.

الخصلة الثالثة: الصدق

الصدق تربية

نريد تربية رجال ونساء ربانيين. وليست التربية الجهادية إنشاء جيل من الأصحاب المتبتلين، بل إنشاء جند الله المقاتلين، الطالبين وجه الله، الراغبين في الشهادة في سبيله.

الصحبة في الله إن كان لا يغذوها ذكر الله لا تلبث أن تصبح ألفة طبيعية تولد عصبية مفرقة. والصحبة مع ذكر الله والاجتماع عليه بدون مشروع جهادي يتحدث عنه، وينفذ، ويستعد لتنفيذه باختيار العناصر واختبارها، صحبة وجماعة لا يعدو خيرها دائرة أفراد منقطعين عن المجتمع كأنهم أعضاء مشلولة فيه.

الصدق خصلة إيمانية جامعة تناقض:

1. النفاق بشعبه، وأهمها الكذب في الحديث، وإخلاف الوعد، وخيانة الأمانة، والفجور في الخصام. فاختبار الوارد يكون على هذه الأربعة حتى نطمئن أنه خرج من دائرة النفاق. وليس العمل الإسلامي الجهادي كالعمل الحزبي السياسي. هذا في أقوى أشكاله -وهو التنظيم الشيوعي- انضباط حديدي على فكر موحد وقيادة مطاعة، وذاك التزام كلي بأمر الله

وأمر رسوله، وبمحبتهما ومحبة المؤمنين، وبتلقي تربية شاملة تعيد صياغة الشخصية روحيا وفكريا وعمليا، بالانتظام الجهادي بالشورى والطاعة. العمل الحزبي انتماء سياسي مصلحي حركي لا علاقة له بالعقيدة والخلق والمعاني السماوية، حركة أرضية نضالية مصلحية. والجهاد الإسلامي يشترك مع النضال الحزبي في التدافع بوسائل الأرض الفكرية والعضلية والعلمية والمادية والتنظيمية، لكنه يتفوق عليه بنصر الله الموعود. وشروطه التوحيد لله عز وجل، والاجتماع عليه، والإقبال على فضله، والالتزام بشرعه. فمتى فرط جند الله في هذه النقطة، متى دخلتهم العناصر المنافقة، متى كان في تربيتهم وتنظيمهم ما ينافي الصدق، نزلوا إلى مستوى أعدائهم وخصومهم وتخلف عنهم نصر الله.

2. البقاء على العادات والذهنيات والأنانيات الموروثة. لا بد من تغيير شامل في الفرد والعلاقات داخل الجماعة. لا بد من هجرة إلى الله ورسوله بقطع حبال الجاهلية. والهجرة المطلوبة في حق الفرد المؤمن والجماعة المجاهدة في عصرنا هجرة معنوية. أول خطوة فيها هجرة ما حرم الله، ثم قطع ما يربطنا بالماضي قبل التوبة، والتعالي على حاضر الفتنة، وترقب نصر الله بالتخطيط للمستقبل والاستعداد له.

3. البقاء على الإسلام الموروث عقيدة وعبادة وعلاقات. فجند الله يجب أن يعطوا للإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره حقه. ما يحدث من خلاف بين المسلمين في المذهب آفة من آفات الإسلام الموروث. ويتفرع عنه آفات أخرى تشل حركة المسلمين وتعوق المحاولات لجمعهم. فبعض المؤمنين يفهم الإيمان ومعرفة الله سلوكا كليا، وبعضهم يعتبر كل ذلك علما وجدلا. رحم الله الإمام البنا قال في أصوله: «معرفة الله تبارك وتعالى وتوحيده وتنزيهه أسمى عقائد الإسلام. وآيات الصفات وأحاديثها الصحيحة وما يلحق بذلك من المتشابه نؤمن بها كما جاءت من غير تأويل ولا تعطيل. ولا نتعرض لما جاء فيها من خلاف بين

العلماء. ويسعنا ما وسع رسول الله صلىٰ الله وسلم وأصحابه: ﴿**وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا**﴾ آل عمران، 7.

4. الرضى بالأوهام والخرافات المتفشية في الشعب المسكين المحروم المجهل. فإن كان الصدق مواجهة قوية للباطل الطاغوتي فإن تصحيح قواعد العقيدة في الصف وحوله، وفي القاعدة الشعبية، شرط أساسي للمواجهة، فإننا لا نستطيع مقاومة الباطل وبيننا آثار من الباطل. يقول الإمام البنا رحمه الله: «والتمائم والرقىٰ والودع والرمل والمعرفة والكهانة وادعاء معرفة الغيب، وكل ما كان من هذا الباب منكر يجب محاربته (إلا ما كان آية من قرآن أو رقية مأثورة)».

5. الرضى بأنصاف الحلول في أهدافنا وفي مؤهلات جند الله. فالمؤمن القوي الأمين كامل الإيمان، المستكمل له باستمرار، هو وحده القادر، بعون الله، وفي تلاحم مع الصف، أن يحدث في المجتمع التغيير الإسلامي. نموذج لهذا المؤمن عمار بن ياسر رضي الله عنه الذي أوذي في الله فصبر، وبرهن بصبره علىٰ صدق إيمانه. لزم المصطفىٰ صلىٰ الله وسلم وخلفاءه، وجاهد معهم حتىٰ مات في سبيل الله. وصفه رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقال: «**عمار ملئ إيمانا إلى مشاشه**» رواه البزار عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها. والمشاش مخ العظام.

أما شجب أنصاف الحلول بالنسبة للأهداف والوسائل والغاية الإسلامية فنجده عند الإمام البنا رحمه الله في أصوله: «الإسلام نظام شامل يتناول مظاهر الحياة جميعا. فهو دولة ووطن وحكومة وأمة. وهو خلق وقوة ورحمة وعدالة. وهو ثقافة وقانون وعلم وقضاء. وهو مادة وثروة وكسب. وهو جهاد ودعوة وجيش وفكرة، كما هو عقيدة صادقة وعبادة صحيحة سواء بسواء».

6. التجميع التكاثري دون اختيار العناصر واختبارها. يقول

الإمام البنا رحمه الله ورضي عنه في خطبته في المؤتمر الخامس: «وإن كثيرين يستطيعون أن يقولوا، ولكن قليلين من هؤلاء يثبتون عند العمل. وكثير من هذا القليل يستطيعون أن يعملوا. ولكن قليلا منهم يقدرون على حمل أعباء الجهاد الشاق والعمل العنيف. وهؤلاء المجاهدون، وهم الصفوة القلائل من الأنصار، قد يخطئون الطريق ولا يصيبون الهدف إن لم تتداركهم عناية الله. وفي قصة طالوت بيان لما أقول. فأعدوا أنفسكم، وأقبلوا عليها بالتربية الصحيحة والاختيار الدقيق. وامتحنوها بالعمل، العمل القوي البغيض لديها، الشاق عليها، وافطموها عن شهواتها ومألوفاتها وعاداتها».

لا نعرف صدق الوارد ولا استعداده إلا إن برهن على ذلك بأعماله، بمواقفه، بصلاحيته للطاعة والتنفيذ، بقدرته على ضبط نفسه.

ويختبر الوارد باستمرار حتى نعرف نضجه وصدقه، ثم يبقى الاختبار ومطالبة كل مؤمن بإعطائنا برهان صدقه على طول طريق الجهاد. فليس الأمر امتحانا يؤدى مرة واحدة ثم يركب العضو أنانيته ويستقر في علياء عضويته. الأمر أعظم من هذا، فمن كان يرجو الله عز وجل فليوطن نفسه على اقتحام العقبة وليشمر لذلك ما دام حيا. فإذا مات في سبيل الله فإلى رحمة الله ورضوانه. وإذا مات قلبه يودع من الصف.

ويراقب الوارد على مدرجة الخصال العشر وشعب الإيمان، ويلاحظ سلوكه، ويقوم من كان صالحا للتقويم. فإذا تبين أن فيه خصلة قادحة، أو كان في مجموعه ثغرة لا يمكن أن تسد بالتربية، فلا حاجة لإثقال كاهل التنظيم به. الأمر جد فينبغي أن يكون الامتحان صارما ومستمرا.

7. الغموض في كفاءات الأفراد، ونواياهم، ومشاركتهم للجماعة في تصورها للعمل، ورضاهم بأسلوبها، ونظامها، وإمارتها، وخطها السياسي.

العضو المهاجر والنصير دعامتان في بناء الجماعة، يمنعان أن يسقط، ووتدان لخيمة الجهاد، يشدانها أن تعصف بها الرياح.

الأعضاء في الجماعة حاملون، فمن أتانا واردا تحمله الجماعة وتحتضنه في دفء الصحبة. لكن الجماعة تنتظر منه أن يستجمع قواه باطراد يواكب يقظة همته، وتمتن ذمته، وصدق عزيمته، ليحمل مع الجماعة وتحت إمرتها أعباء الجهاد.

من الناس قوالون يدعون كفاءة ليست لديهم، ومنهم من يزعم أنه فهم هدفك وأنه معك، ومنهم من يظهر رضاه بخطك ونظامك، حتى إذا حلت ساعة التنفيذ وجاء البلاء هرب الأدعياء. فالأولى للجماعة ألا تربط عقدا إلا مع من تأنس منهم ألا يهربوا، وألا يعصوا وألا يخذلوا. قال الله تعالى يصف القوالين من المنافقين: **﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللهَ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ﴾** محمد، 20-21.

فلو صدقوا الله! الصدق مع الله!

الصادق مع الله من يموت مع الصادقين في سبيل الله لزوما لعهده وعقده. قال الله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾** التوبة 119.

«مع»، مع الصادقين!

وقال عز من قائل: **﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً لِيَجْزِيَ اللهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾** الأحزاب، 23-24.

ما يبدل الصادقون، وما يتبدلون، ولا ينقضون عهد الله. وإذا لقوا فئة يثبتون ويذكرون الله كثيرا ويفلحون. ليكن البند الضمني في عقد الإمارة التعاهد على الموت في سبيل الله. ليكن منادي الصادقين على رؤوس الواردين: **﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾** الحجرات، 15.

لا تصلح العناصر المتشككة والقابلة ليشككوها، ولا البخيلة بأموالها وأنفسها عن الله لبناء.

نرقب الوارد والعضو لنعرف ونقوي صلاح أمره على مستوى الخصال العشر : صدق صحبته لنا وانضمامه لجماعتنا، صدقه مع الله ورسوله، صدق ذمته وهمته وهجرته ونصرته، صدق بذله للمال والنفس والجهد، صدق إقباله على العلم، صدق عمله ينجزه ويتقنه، صدق سمته وتميزه، صدق صبره وتحمله وضبطه لنفسه وشؤونه، صدق توجهه إلى الأهداف الجماعية والغاية الفردية الإحسانية، صدق طلبه للموت في سبيل الله.

الصدق تنظيما

تقول العرب: «رمح صدق» (بفتح الصاد) أي لا ينكسر بل ينفذ في الغرض.

ومنذ هجوم الاستعمار على دار الإسلام ظهرت في المسلمين حركات مقاومة تمثلت أقواها فيما سمي بحركات التحرير الوطني. كل هذه الحركات انطلقت من المطالبة بالحق الوطني، وحملت مع الشعارات الوطنية هتافات إسلامية بها استطاعت أن تحرك الشعوب المسلمة وتدفعها لمساندة حركات وحروب التحرير الوطنية.

تبين بعد الاستقلال السياسي الشكلي أن الهتافات الإسلامية كانت كذبا. وحكمنا مغربون لا يدينون بالإسلام إلا قولا منافقا باللسان. فشوكتهم تنكى في جسم المسلمين.

ومن أعماق الأمة بعث الله على رأس هذا القرن دفعة بدأها سبحانه منذ ستين سنة بتحرك أمثال الشيخ محمد إلياس والشيخ المودودي في الهند والشيخ البنا في مصر والشيخ سعيد النورسي في تركيا رحمهم الله.

تمثل الحركة الإسلامية اليوم قوة لا تفتأ تتجمع. ونريدها أن تكون شوكة تنصر الإسلام ولا تنكسر أو تنثني دون هدفها، وهو إقامة الخلافة الإسلامية. نريدها حركة صادقة.

أجيال ماتت وأخرىٰ تجر علىٰ سطح المجتمعات المسلمة حياة ذليلة خاضعة للطاغوت. أجيال من علمائنا انهزمت، واستقالت وهربت من الميدان، ونفضت يدها من أمر المسلمين، أو تمالأت مع حكام الجبر. أجيال استغشت ثيابها لكيلا ترىٰ حاضرنا الكئيب، وصمت آذانها لكيلا تسمع نداء الحق يحث الصادقين علىٰ الجهاد. حوقلة في المساجد وفسولة وجزع.

ومن تحت هذه الأجيال الغثائية يبعث الله جلت عظمته أجيالا شابة تريد أن تعاهد الله فتصدق ما عاهدته عليه.

*** الحماس والإرادة:**

هذه الصحوة الإسلامية المباركة ظاهرة يراها العالم ويهتم بها العالم. أهي غبار ثائر وزبد طائش؟ كلا! ما هذا الذي يراه العالم ويهتم به إلا الوجه الظاهر لحركة حية في الأعماق، لقلوب تنبض بالإيمان، لإرادة فاعلة في التاريخ فعلا مدهشا. وهي لا تزال في أول انبعاثها.

إنه غرس غرسه الله عز وجل في أرض طال رقودها فهو مشتد ريان. سقاه بماء الإيمان ربه عز وجل فهو ماض بحوله سبحانه وقوته في خروجه وتعاظمه حتىٰ استوائه.

قد يأتي الواردون بحماس متأجج مندفع، لكن الحماس كشعلة تبن لا يعتمد عليه. فالتربية شأنها أن تأخذ الواردين برفق حتىٰ يبرد الحماس. ثم تأخذهم بالتجربة علىٰ إنجاز المهمات، والصبر في مجلس الإيمان، والصدق في اللهجة، والوفاء، والهجرة، والنصرة. حتىٰ يتبين لنا الذين صدقوا ونعلم الكاذبين.

والتنظيم لا يقوم علىٰ الحماس المتأجج العابر. لكن يعتمد علىٰ

الإرادة العازمة. حين تكون همة كل مؤمن أعلى من خدمة شهواته وأهدافه الشخصية، وحين تكون ذمته صادقة نأمن معها غائلته، ونأمن معها أن يخذلنا أشد ما نحتاج إليه. بهذه الإرادة العازمة يمكن أن نصنع الصف الصادق. ويمكن أن نطمئن إلى أن الغرس الإلهي يترعرع إلى الاستواء، وأن الصف المجاهد سائر في سبيل الله.

مثل هذا الزرع الإلهي المتأتي للرشاد في قوله تعالى: ﴿**مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ**﴾، إلى أن قال جلت قدرته: ﴿**مَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ**﴾ الفتح، 29.

نبات متدرج إلى القوة. زرع خرج جانبه، ثم تقوت جذوره، ثم استغلظت نبتته، ثم استوى قائما على سوقه. فهو يعجب الصديق ويغيظ العدو.

هكذا جند الله. جسم يتألف حتى يقوى، ثم يزلزل الطاغوت العدو، ويفرح يومئذ المؤمنون بأن نصر الله بدأ.

ما حركتنا كحركات الأحزاب، تنطق كذبا، وتبعث غبارا حماسيا، وتبني على أرضية النفاق.

نصرة الشعب لنا وتحمسه للقضية الإسلامية حقيقتان برهن عنهما إيران وسوريا. ونعمل إن شاء الله لنحول هذا الحماس من حولنا إرادة عازمة مخططا طريقها.

*** الطليعة المجاهدة**

كلمة «طليعة» ضالة لنا نستردها. لا نستعملها تقليدا للثوريين بل نأخذها من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم إمام المجاهدين. في البخاري «باب فضل الطليعة»، ونعطي الكلمة معنى السبق والتقدم أمام الجند لاستطلاع الميدان واستجلاء الأخطار، وفداء الجند.

الأمة لا إرادة لها واضحة إنما هي آمال تراود ضميرها، وهزات تهز عاطفتها لذكر تاريخنا وديننا، وما تنجزه الطلائع الإسلامية المجاهدة في أفغانستان وسوريا وإيران.

التنظيم القطري قبل الوصول إلى الحكم وبعده هو الطليعة الشجاعة التي ينبغي أن تخطط للمستقبل، حتى يصبح توتر الأمة نحو المستقبل إرادة واعية لا حماسا حالما. ينبغي أن تخطو على ميدان الجهاد خطوات ثابتة لتتبع الأمة خطواتها. ينبغي أن ترتفع إلى مسامع كل مسلم من شعوبنا دعوة الجهاد واضحة فتنفذ إلى العقول، صادقة فتتسرب إلى القلوب.

انكشف كذب المغربين الفاجرين وفقدوا ثقة الأمة. وآن للأمة أن تعرف أن أبناءها الذين يتمنون لقاء الله لا أن يكونوا أذنابا لأعدائنا هم المؤمنون الصادقون. آن لنا أن نعرفها بمثال سلوكنا واستشهادنا واستبسالنا أن الأمة لن تسمو إلى حقائق ما يتطلبه منها الحاضر والمستقبل إلا بالسير مع الطليعة الصادقة.

غيرنا يعتمد الدعاية الكاذبة والتهريج والتهييج والحركية الجوفاء.

نحن طريقنا الطليعي هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وكل اضطهاد في سبيل هذا الواجب ينال الطليعة أكبر دعاية لها وأصدقها.

قبل الوصول للحكم وبعده نحتاج أكثر ما نحتاج للثقة بالله عز وجل ثم لثقة بعضنا في بعض. والطليعة بحكم وظيفتها تمشي رائدة على أرض العدو. فهي معرضة للإفك والتشكيك. وقد يبلغ فساد البيئة وغرابة الصادقين بين أهل الكذب والرياء والنفاق والتهريج أن يصور الأعداء معروفنا منكرا.

فلا بد للطليعة من الحيطة كيلا يدخل عليها الشك. فالثقة التامة بالقيادة هي قوام قوة جند الله. فبعد التحري لكيلا يدخل الصف إلا ذوو الذمم التي يعول عليها، يجب أن تتقدم الطليعة وهي واعية كل الوعي أن قيادتها عرضة لنيران العدو.

الأمر بالمعروف داخل الصف، والنهي عن المنكر داخله، في مجالس الشورى والنصيحة، هما الضمانة ليبقى الصف في الاتجاه الذي يرضاه الله سبحانه. فإن جاءنا فاسق بنبأ وإرجاف فلا نسرع إلى تصديقه حتى نتبين. وقد نهينا أن نتخذ بطانة من دوننا، فلا نحسب أن الأعداء ولا المتفرجين القاعدين يتورعون عن نقل الأراجيف وإشعال الفتنة كما نتورع.

الحرب الإعلامية تشن على طلائع المؤمنين كما تشن عليهم الحروب الإبادية. فلتعرف الطلائع خصمها وصديقها، وتلتحم مع الصادقين. «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين».

في الناس من حولنا فسولة وميل مرضي للقيل والقال. وأعداؤنا لهم مؤسسات وأجهزة للحرب النفسية يبثون عنا الكذب والأراجيف ينازعوننا إمامة الشعب.

وصف الطليعة يجب أن يبقى متماسكا برباط الإيمان، رباط الثقة بالله، وبإخوتنا، وأولي الأمر منا. «أشداء على الكفار رحماء بينهم». بيننا يهدي بعضنا إلى بعض عيوبه بالنصيحة الأخوية، ويقوم خطأه بالتشاور الرفيق. ومن دوننا لا نتركهم يفسدون ما بيننا.

ولا نترك ثغرة في التربية والتنظيم ينفذ إلينا منها فساد الضمائر، ورخاوة الذمم، أو يتسرب إلينا منها سم الدعايات ضدنا.

*** الهجرة والنصرة:**

روى الإمام مسلم عن معقل بن يسار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**العبادة في الهرج كهجرة إلي**».

الهرج القتل بغير حق، والفتنة أشد من القتل. فمعنى الحديث الشريف أن الصادق عندما يكذب الناس، والمستميت على دينه عندما يفتن المؤمنون ويقتلون هو في درجة المهاجرين.

نقل الحافظ ابن حجر عن القاضي عياض أن العلماء اتفقوا على أن الهجرة من مكة كانت واجبة على المسلمين قبل الفتح. وأن سكنى المدينة كانت واجبة عليهم لنصرة النبي صلى الله عليه وسلم ومواساته بالنفس.

وهكذا يجب على المؤمنين، من كان منهم صادقا لا تنكسر عزماته أمام التهديدات والمخاوف، أن ينضم إلى إخوته لينصرهم في جهادهم ويواسيهم بنفسه. كانت الهجرة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم حركة من مكان إلى مكان، ألزمتها ضرورة التجمع لمواجهة العدو وحماية بيضة الإسلام، أي عاصمته ومقر إمارته. أما الآن ودار الإسلام واسعة، وأقطارها متفرقة ووسائل العصر وطبيعة المواجهة مختلفة، فالهجرة والنصرة في حق الصادقين لا تطلب نقلة من مكان إلى مكان بعينه. التجمع المطلوب والاستنفار الواجب يتمان بربط المؤمنين في التنظيم القطري وإحكام تحركه عبر المكان وفي كل مكان. وخروج الوافد على الجماعة في سياحات الدعوة ومعسكرات الشباب يتيح له أن يبتعد عن مألوفاته وينقطع عن بيئته المرفهة الغافلة. وبذلك يطوي المراحل في قطع حبال الجاهلية والارتباط المتين بالجماعة.

ومتى تم تحرير قطر كان واجبا على المؤمنين خارجه أن يخفوا لنصرة إخوتهم وإمدادهم بالكفاءات والخبرات والتأييد المادي والمعنوي.

وعلى كل قطر تحرر أن يخصص جهوده لدعم الحركات القطرية الأخرى ونصرها.

هكذا نتصور الهجرة والنصرة تنظيما.

وقد سبق عرض الهجرة والنصرة تربية في الحديث عن العضوية. ولنا عنهما حديث بعد حين إن شاء الله.

شعب الخصلة

*** الشعبة الخامسة والعشرون : الإيمان بالله وبغيبه**

من اعتقد في نفسه أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ونطق بذلك لسانه، وصدق برسل الله، وكتب الله، وملائكة الله، وقدر الله، وباليوم الآخر، ثم عمل بمقتضى الشهادة والتصديق فقد آمن. فما عدا تعريف الإيمان في حديث جبريل: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره**».

لكن الإيمان حق الإيمان، وهو يزيد وينقص وله شعب منها الأعلى والأدنى، وله كمال حين يكتمل، وخروج حين يخرج فيكون كالظلة على رأس الزاني حين يزني مثلا، حالة شاملة لكيان المؤمن.

ليس الإيمان معنى مضافا إلى ذات الإنسان، بل هو معنى قائم بها. فكمال الإيمان هو كمال المؤمن في معناه. وما يحصله المؤمن في «مجموعه» من التحلي بصفات الإيمان، والتخلق بشعبه، هو مدى كماله الذاتي الذي يبعث على صورته إن ختم الله له بالحسنى. وهو مقامه عند الله أبد الآبدين. فإذا اكتمل الإيمان من كل جوانبه، واستمد قلب المؤمن من كل شعبه، ارتفع به إلى الإحسان. درجات. ﴿**وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً**﴾ الإسراء، 21. فطلب كمالك من الله عز وجل بوقوفك على باب الكريم الوهاب، وعملك الدائب على مقتضى الكتاب والسنة، هو ما يطلبه إليك الإيمان. ليس الاعتقاد النفسي، والنطق اللساني، والتعبد المفروض عليك، ترقيك عن درجة الإسلام. لا، حتى يتجدد في القلب الإيمان، حتى يحدث في القلب تحول، حتى يجد القلب حلاوة الإيمان، حتى ينشرح الصدر بها. عند ذاك تزدهر ريحانة الإيمان، وتصبح على مثال تلك الشجرة الطيبة المضروب مثالها في القرآن.

العقيدة النفسية العقلية، والنطق اللساني، والعبادة بالجوارح إيمان عام جاء في حديث جبريل، وتخصصه الأحاديث الأخرى الكثيرة التي ذكرت حلاوة الإيمان، وشعبه، وكماله، والآيات التي ذكرت زيادته، ونقصه ودخوله، وكتابته في القلب.

هذا الإيمان المخصص هو الإيمان الحي الذي يحيي قلوب الرجال والنساء حتى يصلحوا أن يخاطبوا بيا أيها الذين آمنوا، لأن لهم إرادة طاعة الله ورسوله، ولأن لهم القدرة على تنفيذ ما أمروا.

تدخل بشاشة الإيمان القلب، ثم تغمره حلاوة، وتفيض فيه نورا. والأعمال القلبية -وهي النيات- روح كل عمل حين تصدر عن الشوق إلى الله، ومحبته، والتعلق به وبرسوله.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان وغيرهما عن أنس: «**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما. وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله. وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار**».

عبودية الخوف والرجاء شرع نحن مطالبون به. لكن عبودية المحبة -وهي درجة فوق الأولى- هي وحدها معيار انتقال المؤمن من مراتب الإسلام إلى مراتب الإيمان والإحسان.

السالك إلى الله على مدارج الترقي يحب الله ورسوله مع الطاعة. ويحب المؤمنين بفيض من المحبة الإلهية، ويكره الكفر والعود فيه أشد الكراهة. أعمال قلبية.

من زعم أنه مؤمن وهو منكمش على شحه، وأنانيته، وسوء مخالقته لأهله ولجيرانه وللمؤمنين، فذاك دعي. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان وغيرهما عن أنس: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**» وقال فيما رواه مسلم عن أبي هريرة: «**والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا! ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم**».

الإسلام الأناني المنعزل لا تدخل في معادلته محبة المؤمنين، ومعاملتهم بالبر، والتعاون معهم. ومن ثم يتناقض مع محبة الله ورسوله، إذ محبة الله ورسوله ومحبة المؤمنين متلازمتان.

الإسلام الفردي حالة تتلاءم مع تشتت المسلمين، وتنتج عنه، وتغذيه. أما الجمع الذي ننشده فيريد إيمانا جامعا بالمحبة بيننا كأمة، وبيننا وبين الله ربنا. تحابنا فيما بيننا شرط لرضاه عنا.

الإسلام الفردي المنعزل الأناني يولي فيه المسلمون بعضهم إلى بعض وجه القساوة، ومعاملة الحذر، وسوء الظن. وفي الإيمان الجامع تقرب بالسلام، والبشاشة، والمخالقة التي تزرع الثقة وتمتن الرابطة، وتهيئ القوة المجاهدة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو داود والترمذي بسند حسن عن أبي هريرة: «**أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وخياركم خياركم لأهله**».

دعنا من الإسلام المكفهر الذي يوجه أصابع الاتهام للناس، وينسى أن يطلب داء نفسه، ويتهم ذات نيته!

*** الشعبة السادسة والعشرون : الإيمان باليوم الآخر**

من الذكر الأساسي لجند الله ذكر الموت، ودراسة ما ورد عن الحبيب البشير النذير من حديث عن أمارات الساعة، وعن فضل المتمسك بدينه في الهرج، وعن الدجال الذي حذرنا منه المصطفى صلى الله عليه وسلم أشد التحذير، وعن نزول عيسى عليه السلام، وعن النفخ في الصور، وعن البعث، وأهوال القيامة، والحساب، والميزان، والصراط، والحوض، والشفاعة، والجنة، والنار.

بيد أن الإيمان بكل هذا، ومدارسته، والاستعداد له بالاستغفار والعمل الصالح، يجب ألا يغذي في نفوس العصبة المحمدية معاني اليأس من إصلاح الأمة، وخواطر الهروب من الفتنة خوفا من موبقاتها.

ما نراه من أمارات الساعة كما حدث الحبيب صلى الله عليه وسلم كالتطاول في البنيان، والهرج، وطغيان الحكام وكفرهم، وفساد الذمم، وما ورد في كتب الفتن، يقوي عزمنا على الجهاد لإنهاء الفساد. وقد قدمنا في أول هذه الفصول حديثتين عن موعود الله لهذه الأمة بخلافة على منهاج النبوة بعد كل هذا البلاء، وبانتصار الإسلام حتى يعم كل الأرض.

فليعول أحدنا أن يتقرب إلى الله عز وجل، وأن يستعد للقائه في اليوم الآخر، بجهاد لتحقيق هذا الموعود. وليكن ذكر الموت وما بعدها حافزا، بعد محبة الله ورسوله، لنستهين بما نلقاه من بلاء في جهادنا، وما لا بد منه من بذل أنفسنا وأموالنا استشهادا في سبيل الله.

*** الشعبة السابعة والعشرون : النية والإخلاص**

حديث مشهور رواه الشيخان وأصحاب السنن إلا ابن ماجه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى. فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه**».

عمر صاحب العزمات والغناء الكبير في الإسلام يروي هذا الحديث العظيم الذي جعله البخاري فاتحة كتابه. فطليعة الجهاد المجدد قوامها الصادقون الذين أخلصوا الله ما وعدوه وجاهدوا في الله حق جهاده مخلصين له الدين ولو كره الكافرون.

وفي مرحلة ما من مراحل الجهاد قد يرد على العصبة الخيرة مثل مهاجر أم قيس الذي روى العلماء أن الحديث يشير إليه. وهو رجل من الموالي منع في الجاهلية من زواج هذه المرأة. فلما هاجرت وسوى الإسلام بين الأحرار والموالي تبعها إلى المدينة، هجرة ناكح.

كذلك قد يرد الوصوليون والمنافقون. فلنحذر أن نغلب على أمرنا فنوسد الأمر إلى غير أهله.

ذلك أن الإخلاص لله تعالى لا ينفك عن الإخلاص لجماعة المؤمنين. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع: «**نضر الله امرءا سمع مقالتي فوعاها، فرب حامل فقه ليس بفقيه. ثلاث لا يغل** (لا يفسد قلب انطوى عليهن) **عليهن قلب امرئ مؤمن: إخلاص العمل لله، والمناصحة**

أئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم، فإن دعاءهم محيط من ورائهم» رواه البزار وابن حبان. قال المنذري: روي من طرق متعددة بعض أسانيدها صحيح.

هي وصية من رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر المسلمين أن يبلغها الشاهد منهم الغائب. فنسمع ونطيع. لكن أين الأئمة الذين أمرنا أن نناصحهم؟ أين جماعة المؤمنين؟

الإخلاص لله أن نجمع ونربي وننظم ونقيم أمرنا على كتاب الله وسنة رسوله.

*** الشعبة الثامنة والعشرون : الصدق**

قوم ساكتون خرس عن كلمة الحق، ناكثون لعهد أخذه الله عليهم أن يبينوا للناس ويقفوا موقف الصدق. وقوم منافقون، وقوم كاذبون، وقوم متأولون، مبررون زورهم أو مكفرون غيرهم.

الحاكم والمحكومون تحت سلطان الجبر سواء في المواقف الكاذبة والخطاب المنافق. وإنما تعقد آمال الأمة على الطليعة المؤمنة أن تجهر بالحق وتقف في وجه الباطل.

روى البخاري عن محمد بن زيد أن أناسا قالوا لجده عبد الله بن عمر: «إننا ندخل على سلطاننا فنقول بخلاف ما نتكلم إذا خرجنا من عنده». فقال: «كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم».

والآن وقد أدى بنا ذاك النفاق في الكلمة والموقف إلى ما نرى، حان لجند الله أن يرجعوا إلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

*** الشعبة التاسعة والعشرون : النصيحة**

يتجدد ديننا متى أصبح النصح لله ولرسوله وللمسلمين، خاصتهم وعامتهم، سلوكا في حياتنا، ومنهاجا لعملنا. ومعنى النصح لغة الوضوح والجمع. أمة يحكمها من ليس منها. يغشون ويضللون. أمة مشتتة، يزيدها تمزيقا دعاة العصبيات والإديولوجيات. العدو الخارجي لا بأس له لولا

وجود دخلائه وصنائعه بيننا. فالنصيحة فضح هذا ومحاربته وجمع القوىٰ الحية لإقامة الدين.

أما النصيحة الشورية والفردية فقد تحدثنا عنها من قبل.

روىٰ الشيخان وأصحاب السنن إلا ابن ماجة عن تميم الداري أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: «**إن الدين النصيحة! إن الدين النصيحة! إن الدين النصيحة!**» قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: «**لله وكتابه ورسوله وأئمة المسلمين وعامتهم**».

فإذا رضينا أن يجحد وجود الله بيننا قوم مرتدون، وأن يعطل كتاب الله حكام جائرون ظالمون، وأن يلعب بسنة رسوله سفهاء مبذرون، وأن يغلبنا علىٰ العامة وعلىٰ إمامة الشعب المسلم أحزاب فاسقون، فقد عطلنا النصيحة وهي الدين.

الشعبة الثلاثون : الأمانة والوفاء بالعهد

لا نأمن غوائل الفتنة وكيد المنافقين أن يغتالا الحركة الإسلامية، خاصة عندما يصل جند الله إلىٰ الحكم، فيدخلوا في صراع مع واقع متشعب مشتبك بحياة المسلمين الموروثة، تنشب فيه الجاهلية أظفارها وتتربص به الدوائر.

ذكرنا حديث ابن عمر يشجب نفاق جلساء الأمير. وإن آمال الأمة لن تتحقق إلا إذا كان لكل عضو في جماعة الإيمان عهد مع الله وميثاق أن يستقيم علىٰ النصيحة، ويخاف عاقبة الغدر، فيقدم رعاية هذا العهد علىٰ عقد الإمارة، وعلىٰ الاعتبارات الطارئة التي يبرر الناس بها تنازلاتهم عن الحق، حتىٰ يهووا في نار جهنم بعد أن تسببوا في فشل الجماعة.

أخذ الله الميثاق علىٰ رجال الدعوة من العلماء: ﴿**وَإِذَ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ**﴾ آل عمران، 187. وقال عز من قائل : ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّنَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى**

وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقاً غَلِيظاً﴾ الأحزاب، 7. فجند الله الوارثون الصادقون مخاطبون بهذا القرآن زمان انفراد الدعوة وزمان قيام الدولة.

وهم محذرون من عاقبة الغدر، خاصة منهم من ولي من أمر جماعة الدعوة أو نظام الدولة مسؤولية.

روى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**لكل غادر لواء عند إسته يوم القيامة، يرفع له بقدر غدره. ولا غادر أعظم غدرا من أمير جماعة**».

*** الشعبة الحادية والثلاثون : سلامة القلب**

أمام العصبة المجاهدة مهمات كالجبل، الاستعداد لها يتنافى مع الغفلة والسذاجة التي يسميها العامة «طيبوبة القلب».

السذج بسطاء العقول خطر على الدعوة. لأن الواحد منهم يحسب أن الورع الفردي كفيل وحده بتغيير الواقع، أو تدفعه سذاجته لإفشاء أسرار المؤمنين، أو يغتر بوعود المنافقين.

الدعوة تريد من المؤمن أن يكون غرا كريما، ليس بالخب ولا الخب يخدعه. الجهاد لإقامة دولة الإسلام حرب، والحرب خدعة. والسذج البسطاء يسعهم فضاء رحمة الله، بعيدا عن الإعداد القوي الذي أمرنا به.

قال الله تعالى حكاية لدعوة إبراهيم عليه السلام: ﴿**وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**﴾ الشعراء، 87-89.

القلب السليم كما تبينه السنة المطهرة هو قلب المؤمن الذي يحسن الظن بربه، يرجو رحمته ويخاف عذابه، يحبه ويحب رسوله، لا يتجسس على المسلمين، ولا يحسد، ولا يغتاب، ولا ينم. همه الله عز وجل، وجهده منصرف لبناء جماعة الجهاد ودعمها.

وبسلامة القلب وصلاحه يتفاضل المؤمنون.

حظ المرء من الله تعالى يتوقف على مدى استعداده القلبي لتلقي الرحمة والهدى. هناك استعداد وهبي عام قدره الله وفطر عليه. وهناك استعداد كسبي. والكل من الله الكريم الوهاب. ومن الاستعداد الكسبي استشفاء القلب، وتطهيره، وتعريضه لنفحات الرحمة الإلهية. القرآن الشفاء. والطمأنينة الذكر. اليقظة من الغفلة، والتعلق الدائم بالله عز وجل، وطرح ما سواه في المواضع التي وضع فيها الشرع كل شيء.

من كان همه الله، وضابطه الشرع، ومنهاجه الاتباع، لا يحسد ولا يعادي المسلمين ولا يهجر ذوي صحبته وقرابته، ويعفو عمن ظلمه، ويصل من قطعه، ويعطي من حرمه.

الدعوة بحاجة لقلوب عالية الهمة، كما هي بحاجة لعقول راجحة النظر، وشخصيات قارة لا تنفعل انفعالا، بل تستفتي الشرع وتتدبر، حتى إذا عزمت مضت لا يثنيها شيء. فهذا معنى سلامة القلب.

*** الشعبة الثانية والثلاثون : الهجرة**

أخذت الآن تعم في المجتمعات الإسلامية يقظة المسلمين من سبات الإسلام الوراثي الفاتر، وأخذ الناس يسمون صحوة إسلامية هذه الهبة اللافتة لنظر العالم من الرضى بالواقع المفروض على الأمة، وهذا الموقف المتميز عن الإسلام الرسمي الذي يسدنه حكام الجبر ويدعون إليه.

وتنتشر الدعوة سريعا بين الشباب المبارك على عتبة قرن التجديد هذا إن شاء الله. فينتقل المسلم في صحبة الدعاة من حال الركود أو الإلحاد أو اللامبالاة إلى الاهتمام بالإسلام، والميل إلى المؤمنين، حتى الإقلاع عن الماضي وموبقاته، وقعوده وخموله، إلى التوبة إلى الله، والتحفز للجهاد في سبيله.

في حياة من يسمون الآن إسلاميين هجرة نقلت كل واحد منهم من جاهليته لإسلامه. وهكذا يتجدد معنى الهجرة. وما يبقى لمن تمت هجرته

إلا أن ينظر في كتاب الله وسيرة رسوله صلى الله عليه وسلم ليكتشف النموذج الأول للمهاجرين، ويتلقى الأمر الموجه إليهم، والوعد الذي وعدوا به، ويتقمص الشخصية، ويقوم بالدور التاريخي. قال الله تعالى: ﴿**وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ**﴾ التوبة100. فها قد ترك لنا سبحانه مكاناً في رضاه، وإمكانية تسلسل واستمرار على تلك الخطى المباركة، بشرط اتباعهم بإحسان. ما أجيالنا نبذ منبوذة في تاريخ.

يتجدد الإسلام بتجدد الإيمان، وتجدد الفئات المذكورة في القرآن، وتجدد وظائفها. وفي المواجهة يصطف جند الله من مهاجرين وأنصار، يقاومون ويقاتلون حزب الشيطان الكافرين من خارج، وحزبه المدسوس فينا من المنافقين. ويتعرض حزب الله لإنكار الأعراب السادرين في غفلاتهم، وركودهم الناعس وسخريتهم.

ما كانت الهجرة حدثا تاريخيا فريدا انقضى، بل هي معنى وسلوك واختيار. هجرة الأفراد الإيمانية الخلقية الإرادية، تتبعها هجرة كل منهم نحو إخوته، وانضمامه إليهم، وانتظامه معهم. ويتكون صف الجهاد لإعادة الخلافة على منهاج النبوة. ﴿**كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ**﴾ الأنبياء، 104.

ما انقطعت الهجرة وما ينبغي لها. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم وأبو داود «**لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها**».

*** الشعبة الثالثة والثلاثون : النصرة**

وهكذا النصرة: دور يتجدد. قال الله تعالى يصف الأنصار: ﴿**وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ الحشر، 9.

استجاب الأنصار لدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبايعوه إن هو هاجر إليهم أن يؤووه ويحموه مما يحمون منه ذريتهم ونساءهم. و بذلك ابتدأ تاريخ الجهاد المتكامل بعد أن كان في مكة جهاد الصبر، وتحمل الأذى، وتحدي الباطل، وما ينتج عن التحدي من اضطهاد.

كذلك اليوم وغدا يستجيب إن شاء الله لدعوة التجديد في العالم قاعدة نصيرة في الأمة تتحلى بالإيمان، وتحب الدعاة المهاجرين إلى الله ورسوله، وتؤوي، وتؤثر على نفسها، وتدعم الحركة حتى النصر الموعود بإذن الله.

والمؤمن يربى على شعب الإيمان كلها. فنطلب إليه أن يبرهن عن هجرته إلى الله ورسوله بقطع حبل الجاهلية كلها، ما استطاع منها في كل مرحلة معينة من مراحل الجهاد. ونطلب إليه قبل ذلك أن يبرهن عن نصرته بالتعبير العملي عن فضائل الأنصار المذكورة في الآية الكريمة.

ولكل درجة عهد وميثاق- ثم بيعة إن شاء الله يوم يلتم شمل المسلمين على الخلافة. وللأنصار الجدد حق على من سبقهم بإيمان وهجرة، أن يصحبهم في الله، ويؤاخيهم كما آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار. أخوة تعاون مادي ومعنوي، أخلاقي تربوي، ومعاشي يومي.

ولجند الله حق بعضهم على بعض، أن يتواسوا بالمال والنفس كما تواسى سلفهم الصالح، ولهم حق التحاب في الله بعضهم على بعض.

ويتم تأليف العصبة المحمدية المجاهدة حين يعتبر كل منهم أن حبه إخوته عبادة، وأن تناصحه معهم وتشاوره عبادة، وأن طاعته لأولي الأمر منا عبادة.

*** الشعبة الرابعة والثلاثون : الشجاعة**

ماذا فعل المهاجرون الأولون والأنصار؟ بم استحقوا أن يذكرهم الله في

كتابه فتتلو الأجيال شكر الله عز وجل لجهادهم وعطائهم؟

بإيمان بالله واثق، وطاعة لأمره وأمر رسوله لا تتخلف، ثم بشجاعة مكنتهم من اقتحام العقبة ومواجهة الموت. شجاعة للاستعداد الفطري فيها نصيب، لكن حافزها وباعثها وقوتها اليقين أنها إحدى الحسنيين.

سأل الإمام علي رضي الله عنه وهو يخطب: «من أشجع الناس؟ فقالوا: أنت! قال أما إني ما بارزني أحد إلا أنصفت منه! ولكنه أبو بكر! لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذته قريش فهذا يجؤه (على وزن يطؤه، معنى يجؤه يطؤه ويضربه برجله) وهذا يتلقاه. ويقولون له: أنت تجعل الآلهة واحدا؟! فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر. يضرب هذا ويدفع هذا، ويقول: ويلكم أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله؟ ثم بكى علي، ثم قال: أنشدكم الله أمؤمن آل فرعون أفضل أم أبو بكر؟ فسكت القوم. فقال علي: والله لساعة من أبي بكر خير منه! ذاك يكتم إيمانه وهذا يعلن إيمانه» رواه البزار.

هذا حديث للتأمل الطويل والاستهداء والاقتداء. للشجاعة ثمن!

*** الشعبة الخامسة والثلاثون : تصديق الرؤيا الصالحة وتعبيرها**

ننتقل من ميدان مصارعة الباطل إلى ميدان التلقي عن الله تعالى. فالثبات في ذلك الميدان ثمن لولوج هذا الميدان. قال الله تعالى لإبراهيم بعد أن استعد ابراهيم عليه السلام لتنفيذ ما أمر: ﴿**وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**﴾ الصافات، 104-105. فجعل سبحانه تصديق الرؤيا من سمات الإحسان.

في كتب الحديث أبواب مخصصة لهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرؤيا. والرؤيا الصالحة، رؤيا يراها المؤمن أو ترى له، غير الأحلام المشتركة بين البشر.

الرؤيا الصالحة جزء من النبوة. هي وحي من الله للعبد الصالح، تشجعه على سلوك الطريق إلى الله.

وللرؤيا آداب نبوية وحرمة خاصة، فينبغي مراعاة تلك الآداب، والاهتمام بها كما كان يهتم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقد روى الشيخان والترمذي وأبو داود عن سمرة بن جندب قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى الصبح أقبل عليهم بوجهه فقال: «**هل رأى أحد منكم البارحة رؤيا؟**» زاد أبو داود: «**إنه لم يبق بعدي من النبوة إلا الرؤيا الصالحة**».

الصادق في طلب الله تعالى لا يتعلق بالرؤيا المخبرة عن أحداث العالم. الذي يهمه رؤيا تبشره بالسعادة الأخروية، وبقربه من ربه، ورضاه عنه. وانظر في كتب الحديث ما دون من مناقب الصحابة تجد أن منهم من احتفظت له ذاكرة الأجيال بالاعتراف بالفضل العظيم لرؤيا رآها أو رؤيت له، وعبرها له الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم. يقول المادي الكئيب: مجرد رؤيا! وما جدوى الرؤيا؟ أما نحن فعندما نقرأ القرآن، ونقرأ سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم، ونرى ما للرؤيا من أهمية في حياة الأنبياء والمؤمنين، نعرف أن باب الغيب الذي بقي مفتوحا لنا إنما هو هذا الباب.

لكن الصادقين لا يرتبون على الرؤيا حكما جديدا، ولا يعطلون بها حكما معروفا من أحكام الشريعة.

كثير من الرؤى تحتاج تعبيرا. والتعبير علم وحكمة يؤتيها الله من يشاء. فمن لنا بتلك الحكمة!

لهذا فلا نبني على الرؤيا عملا، إنما هي مبشرات تسر ولا تغر. وظيفتها أن تشجع فينا خصال الإيمان ونية الجهاد، لا أن تصبح مصدر الأحكام.

الخصلة الرابعة: البذل

البذل تربية

كلمة بذل وردت في الحديث النبوي. معناها لغة إعطاء الشيء والجود به استهانة به في مقابل الفضل المرجو. يقال ابتذل الشيء احتقره.

ويدخل في هذه الخصلة ما أمر الله به من الإنفاق، ويدخل فيها الجهاد بالمال وهو مقدمة للجهاد بالنفس.

*** الفتوة**

كلمة فتىٰ وردت في القرآن ست مرات مذكرة ومؤنثة ومفردة وجمعا.

وصف إبراهيم عليه السلام بأنه فتىٰ ووصف بها أصحاب الكهف. فهي كلمة تدل علىٰ الشجاعة في الحق، شجاعة نبي الله الذي كسر الأصنام، وشجاعة الفتية المؤمنين الذي قاطعوا الكفر وهاجروا إلىٰ الله. كما وصف بالفتوة في سائر الآيات أهل الخدمة، وأشرفهم فتىٰ موسىٰ يوشع عليهما السلام.

نقصد بالفتوة كرم النفس الذي يدفع المؤمن للاستعلاء علىٰ الطاغوت، فيكسر الأصنام، ويبذل روحه في سبيل الله. ونقصد بها إلىٰ جانب هذا الرفق مع المؤمنين، وخدمتهم، وتوطئة الكنف لهم.

الفتيان هم الجامعون بين صفتي الشجاعة والتواضع. « أذلة علىٰ المؤمنين أعزة علىٰ الكافرين». فوجه البأس يتقدمون به للقتال عن الدعوة، ووجه الخدمة باش للمستضعفين. يبذلون أنفسهم فداء لدين الله لأنها أرخص من أن يساوموا بها. ويبذلون مالهم ووقتهم للمسلمين خدمة ومواساة.

الفتىٰ الحق من يكسر الأصنام يستهين بنفسه ثمنا لإبطال الباطل وإحقاق

الحق. فهذه الفتوة الشجاعة لهدم الباطل. هذا نبي الله إبراهيم عليه السلام.

أما فتوة البناء فتريد صبرا وخلقا.

في مجتمعات منحلة ينادي المؤمنون غدا لإعادة بناء الأمة. وليس تبنى على الشح والأنانية والأثرة، وهي من أمراضنا الفتنوية. إنما تبنى على خلق جميل، نجد نموذجه الكامل في المصطفى الحبيب صلى الله عليه وسلم.

قالت له أمنا خديجة رضي الله عنها حين رجع فزعا من الوحي، وهي أعرف الناس بسجاياه: «كلا والله لا يخزيك الله أبدا! إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل (وهو من لا دابة له، فهو عاجز عن السفر) وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق (تساعد كل محتاج وكل من طرأ عليه طارئ)» رواه الشيخان وغيرهما. في رواية: «وتصدق الحديث» وفي أخرى: «وتؤدي الأمانة».

الفتى يحمل، ويصل، ويجمع، ويفدي إخوته. ليس الفتى من هذه الإبل المائة التي لا تكاد تجد فيها راحلة. بل هو حامل ثقل الجماعة. ثم لا يمنُّ على إخوته عطاءه فيفسد عمله. قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالمَنِّ وَالأذَى**﴾ البقرة، 264. فمن كان يقدم لإخوته خدمات ثم يذكرها ما شمَّ من خصلة البذل رائحة. وقولك في معرض الحديث بدون حاجة: «فعلت لفلان كذا» مما يبطل الأعمال عند الله. روى الإمام أحمد ومسلم وأصحاب السنن عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم** (قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات). قال أبو ذر: خابوا وخسروا! من هم يا رسول الله؟ قال: «**المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف**».

المسبل إزاره هو الذي يطول ثوبه يستكبر على الناس، وهذا ليس من

صفات المؤمن. ولا من صفته أن يعطي ويذكر عطاءه أمام الناس للفخر. ولا الذي يغش فيكذب ويحلف ليبيع سلعته.

الفتى يخدم إخوته. وقد أتى الله النبوة عبده يوشع بعد أن شرفه بخدمة رسوله موسى عليهما السلام. وذكر الواقدي أن وفد بني سعد هُذيم بعد أن بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، بعث إليهم رسول الله في رحالهم، فجاؤوه ومعهم أصغرهم، وكان لم يحضر البيعة لأنهم خلفوه في الرحال. فتقدم الصغير، فبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام. قال: «فقلنا يا رسول الله، إنه أصغرنا وإنه خادمنا. فقال: «**أصغر القوم خادمهم. بارك الله عليه**». قال: وكان والله خيرنا وأقرأنا للقرآن، بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم».

عن أنس رضي الله عنه قال: خرجت مع جرير بن عبد الله البجلي في سفر، فكان يخدمني. فقلت له: لا تفعل! فقال: إني قد رأيت الأنصار تصنع برسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا (أي تخدمه وتنصره) آليت ألا أصحب أحدا منهم إلا خدمته. وهكذا جند الله في كل عصر يسارعون لخدمة الإسلام وخدمة من يخدم الإسلام، (الحديث رواه مسلم).

*** المال والشرف**

حب المال وحب المحمدة عند الناس عائقان نفسيان عن اقتحام العقبة إلى الله. فالمتكبر لا ينظر الله إليه لاستعلائه على الناس. والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس.

جند الله لا يراد لهم أن يكونوا طائفة متجبرة على الأمة، بل يرجى منهم أن يعيدوا بناء الحضارة الأخوية. فأول ملامح هذه الحضارة التساوي بين الناس، فلا يكون المال دولة بين الأغنياء، ولا يتخذ بعض الناس بعضهم أربابا من دون الله.

من أمراضنا الاجتماعية الطبقية والأثرة واستغلال الأثرياء المستكبرين

الفقراء المستضعفين.

وسط الشعب مكان الفتية المؤمنين وفي خدمته. حرصهم على رضى الله عز وجل يرفع هممهم عن رذيلتي الشح والتكبر، وهما سمتان في النفوس الدنيئة.

هما سمتان تخربان الدين وتأكلانه. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الإمام أحمد والترمذي عن كعب بن مالك: «**ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه**».

*** باسم الله رب الغلام!**

روى الإمام أحمد ومسلم قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام (انظرها عند مسلم في كتاب الزهد).

مؤدى القصة أن الملك أراد أن يهيء غلاما لخدمته في منصب الساحر (وكان ساحره هرم وخاف عليه الموت). فانبرى الراهب ودعا الغلام إلى الله ورباه على الإسلام. الدولة تريد إفساده والدعوة تنازعها. الملك يريد من الغلام أن يعبده ويكذب على الشعب ليبرر طاغوته. ورجل الدعوة يوجه العبيد إلى الله.

فكان أن كشف الملك علاقة الغلام بالرجل الصالح. وفتنه ليرجع عن دينه وحاول قتله.

هنا بذل الغلام نفسه ليموت هو، وتحيى الدعوة فأوصى الملك، وقد عجز عن قتله لأن الله كان ينجيه من المكايد، أن يجمع الناس ويقتله أمامهم. ففعل الملك، ومات الغلام ودخل الشعب كله في الدين لما رأى من موقف الفتى الشجاع.

قصة طرحها لنا المربي الأعظم صلى الله عليه وسلم لنتأملها ونسترشد بها،

لا أن نقرأها ونتسلى بقراءتها. كل شخص في القصة النبوية، وهي حق، يرمز إلى موقف ووظيفة متكرر متجدد في الصراع الأبدي بين الحق والباطل.

علماء السوء وحكام الجبر من جانب الباطل، ورجال الدعوة وفتيان الجهاد من جانب الحق.

ومتى كان لنا جيل ترخص عليه نفسه في سبيل الله، ويعطي ماله في سبيله سبحانه لا يحسب، متى كان لنا جماعة وطد أعضاؤها عزمهم على السفر إلى الله تعالى مهما كان ثمن الرحلة فما ظهور الإسلام على الدين كله يومئذ ببعيد.

*** النفقة في سبيل الله**

يجيء الوافد إلى جند الله ومعه مخلفات ماضيه. بعد الإيناس الأول نفهمه أن العمل الجهادي المنظم لا ينهض له إلا الصادقون، وكل صادق لا يعرف صدقه إلا إن برهن عليه عمليا.

فنطلب إليه أن يساهم في نفقات الجماعة بانتظام، ونرفع نسبة عطائه من دخله تدريجيا. فإن كان غنيا طلبنا إليه أن يدفع أموال الزكاة زيادة على النصيب الشهري المعلوم. وطلبنا إليه أن يبذل في المهمات، وأن يخفض من نفقات عيشه الرفيه تدريجيا ويحول إلى الجماعة.

الجماعة المجاهدة لا تعتمد في نفقاتها إلا على مساهمات أعضائها، ثم على تبرعات الشعب. ومتى كانت للجماعة أموال أسست بها أصولا تجارية وصناعية وفلاحية وغيرها حتى تستقل ماديا.

وعلى كل عضو أن يفتح صندوقا للدعوة حيثما أمكن. والتنظيم المالي للجماعة يأخذ بعين الاعتبار حاجات الأسرة والشعبة وكل المستويات

الأخرىٰ فيعطيها التصرف في نصيب مما يتجمع. وضبط الحسابات علىٰ كل المستويات من أهم الاحتياطات. فالدقة تمشي مع الأمانة. والفوضى مظنة كل فساد.

وحين تجتمع الدعوة والدولة في يد جند الله، تكون أموال الأمة مالا لله ينفق في وجوهه. لكن البذل يبقىٰ البرهان الأول لصدق الصادقين. وقد رأينا في الحديث الصحيح أن «**الصدقة برهان**».

البذل تنظيما

المال والجهد عصب الدعوة، وبذلهما التزاما بعهد، وتطوعا بالخيرات، هو المصدر الأول والوسيلة الأولىٰ لتربية العصبة الخيرة. والمال والجهد مستقبل الدولة أيضا.

*** التطوع:**

نهب أموال المسلمين ولا يزال ينهبها حكام الجبر، ومن يسير في ركابهم، ويأكل من مائدتهم من الصنائع. طبقة مستكبرة نهابة.

هذه الطبقة الطفيلية المتسلطة تستأثر بخيرات المسلمين، وتكون وسائط للنهب الأجنبي والتسلط. تستهلك ولا تنتج، لا تحمل الكل، بل هي أصل الكلالات وسببها. جهود المسلمين تسخرها لمصالحها ومصالح حلفائها الجاهليين.

الأمة تتهيأ لاستقبال عهد جديد، عهد الإسلام، والحكم الإسلامي والخير الإسلامي، والأخوة الإسلامية، والعدل الإسلامي.

زحف المسلمين إلىٰ الحكم هدفه استعمال سلطة الدولة لفرض الحكم بما أنزل الله. وما أنزل الله في حق المجتمع هو العدل، وإنصاف المظلوم والمحروم.

فالظلم الاجتماعي مما يزع الله بالسلطان، طاعة لله عز وجل في أمره لنا بالعدل، فرضا بسلطان الدولة.

وتبقى فجوة واسعة، فجوة الفقر والجهل والمرض التي يخلفها الحكم الجائر. وقد برهنت الأحداث على أن حكام الجبر، سواء رفعوا شعار الليبرالية وتحالفوا مع غرب الجاهلية، أو فرضوا نظام القمع الاشتراكي واستندوا لشرقها، فشلوا الفشل الذريع في ميدان الاقتصاد وتوزيع الخيرات، كما فشلوا أمام العدو الصهيوني الغازي وعلى كل الجبهات.

فجوة التخلف الاقتصادي والحضاري، وفجوة تدهور الأخلاق وفساد الضمائر، وفجوة الحقد الطبقي الذي تولد عن ظلم المستكبرين، فجوة معنوية، خلقية، روحية لا يغني في تضييقها وطمسها وازع السلطان وحده، إنما يغني وازع القرآن.

الدولة سلطان والدعوة قرآن.

مضى إن شاء الله زمن كانت الدعوة فيه لعبة في يد السلطان. وآن أن تصبح الدولة في يد الدعوة سيفا به تدفع كيد العدو وتكف يد المستغل، وآلة تصنع الخير والقوة.

ما الإسلام والدعوة إلى الله وعظ وتأملات. ولا هما بعد الصحوة المباركة تأملات في الأصلح، ومعارضة عاجزة لحكم الأمر الواقع الجبري. جند الله ينزلون إلى الميدان يهيئون قبل الوصول إلى الحكم الخبرات والكفاءات اللازمة لتغيير ما بالأمة من أمراض ولتدبير شؤونها.

وبعد الوصول تعبئ الدعوة الشعب إلى جانبها لإنجاز المهمات الاقتصادية والحضارية والاجتماعية، وسد الفجوات المتخلفة عن قرون الفتنة.

إلى جانب ما تفرضه الدولة فرضا، ما يبذله المؤمنون بذلا. إلى جانب طاعة السلطان، التطوع بحافز القرآن.

جند الله ينبغي أن يجمعوا طاقات الأمة المالية والعملية ليصنعوا مستقبل الإسلام يوم يتعين الحل الإسلامي إذ تلفظ الأمة كذابيها ومبيريها.

واستعدادا لذلك يلم جند الله طاقاتهم وجهودهم المتطوعة، ويضعونها في خدمة المستضعفين، في خدمة الشعب وهو مادتهم التي لا تنضب بعد تأييد الله، وسندهم على الأرض بعد سند الله.

تكون للجماعة مشاريع، سرية أو جهرية حسب طبيعة المواجهة ومرحلة الدعوة، في حقل جهاد التعليم حيث يصحب تعليم الهجاء تعليم القرآن، وفي حقل مبادئ الصحة والإسعاف، حيث يتعلم المستضعفون أن الطهارة الإسلامية والعفاف الإسلامي صون للإنسان دنيا وأخرى، وفي حقل رعاية اليتيم والملهوف والبائس يكتشف المستضعفون أن الإسلام أخوة وعطاء.

الجهل والفقر والمرض أوبئة اجتماعية لا تذهب بالصدقة ولا بالتطوع المنظم وحدهما. ولا تذهب أيضا، والأمة حيث هي من التخلف، بجهود الدولة ولو صلحت وأمسكها المؤمنون. ففي انتظار اجتماع الدولة والدعوة في يد المؤمنين، يبرز التطوع كوسيلة من وسائل تحبيب الإسلام، والتعريف به والدعوة إلى الله. ثم يستمر التطوع في سائر المراحل، يهيئ ثقة الناس بالمؤمنين، ويحرك عواطفهم إليهم، والتفافهم حولهم، وزحفهم خلفهم. ثم يستمر التطوع بعد قيام الدولة الإسلامية نشاطا أساسيا مكملا لجهود الدولة، تعبئة شعبية لإنجاز ما لا تقدر عليه الدولة. والمهمات جسام وطوال.

يشمل العمل التطوعي، حسب الإمكانات والمرحلة، تنظيم تعاونيات فلاحية وتجارية وخيرية، وتنظيم تعاونيات إنتاجية واستهلاكية، وتنظيم أعمال لاستصلاح الأرض وسقيها وفلاحتها، وتنظيم وحدات صناعية، وتدريب الشباب على الأمن الداخلي والخارجي، إلى آخر مهمات التنمية. ويوم تقوم دولة الإسلام نجد أنفسنا هيأنا الأطر الصالحة لتسيير دواليبها، وهيأنا

القيادات الشعبية القادرة على إخراج ما عند الشعب من قدرة على البذل، بذل المال والجهد.

يشعر المؤمن حين نضعه عند وفوده في مشروع تطوعي أنه عضو منتج صالح، فهذا يقوي عزمه لما يرى من نتائج جهده. وهذا هو الجانب العملي الضروري في التربية بعد الجانب الآخر جانب التربية الروحية الإيمانية التعليمية التأليفية. يجب ألا يترك المؤمنون يركدون في صحبتهم، منكمشين على أنفسهم. بل يدفعون إلى الميدان دفعا من أول خطوة، على أن لا يصرفهم الجهد الميداني عن المهمة الشاملة، مهمة تكوين شخصيتهم الإيمانية. العمل التطوعي الميداني جزء لا يتجزأ من التربية، لكنه الجزء لا الكل.

نكف عن التفكير في الدعوة كأنها علاقة أفراد بربهم، ونكف عن اعتبارها معارضة أبدية للحكم يكفيها أن تصرخ منددة بالباطل، ونكف عن التفكير بالذهنية القاصرة ذهنية التابع المحجور الذي ينتظر أن يهيئ له غيره الخبز، ويدبر أمر معاشه.

الدعوة إلى الله أول كل شيء نداء بالرجعة إلى الله عز وجل، والسلوك إليه وتحقيق العبودية له. ثم هي معارضة للباطل حتى تنقض بناءه، ثم هي المسؤولة يوما ما عن مسك زمام الأمور، وتسيير عجلة الإنتاج، وتدبير مشاكل الدولة، وإحلال العدل والرخاء والأخوة في الأمة.

التطوع الميداني يهيئ فرصة للمؤمن ليعرف مشاكل أمته، ويلتصق بواقعها ويعاني آلامها، ويتهيأ لحمل أعبائها.

ندفع المؤمنين لميدان التطوع، يعطون الشعب من أموالهم، ووقتهم، وجهدهم. فينتقلون بذلك من الموقف التابع إلى الموقف المسؤول، ومن ذهنية الذي يبحث عمن يحل مشاكله، إلى عقلية القوي الأمين، يتعلم القوة والأمانة في الميدان لا في الأحلام، يحل هو مشاكل الناس.

هناك في الشعب المسلم بطالة متفشية من جراء فشل الجاثمين على

صدورنا. هذه البطالة يمكن أن تتحول طاقات للبناء لو جاء العدل، ودخل وسط الشعب أمناء أقوياء يدهم في يد المحروم، ومجلسهم معه، ووجههم باسم في وجهه، وأخوتهم مبذولة له، عطاء من مال ووقت وجهد واهتمام وإكرام.

من يعلم الجيوش الجرارة من الشباب الذي لفظته مدارس الفتنة وغيره ممن لم تفتح له قط بابها؟ من يعالج أمراض مجتمع الفتنة الحسية والمعنوية؟ من يسد خلل الفقر والبؤس الذي منه تدخل للناس سائر الرذائل؟

بل كيف نفعل ذلك؟

جند الله لا يكونون جندا لله إلا إن غشوا كل ميادين الجهاد، السياسي منها والاقتصادي والاجتماعي. خارج الدولة إبان الزحف، وتحت مظلتها ودعما لها يوم يصبح أولو أمرنا منا، كتاب الله كتابنا وسنة رسوله منهاجنا.

مشاريع التطوع ينبغي أن تنظم، فيدرب المؤمنون قبل أن يقذفوا للميدان، ويكون على نشاطهم إشراف مسؤول، ويكون لعمل كل مؤمن تقويم وتشجيع يدفعانه لمزيد من الجهد.

ويدرب جند الله على تحمل المسؤوليات حتى يقدروا عليها. ففي غد الإسلام نكون في حاجة ماسة إلى الخبير والمعلم والأستاذ والحاكم والعامل الذين يتركون المدينة ورفاهيتها، ليخرجوا للبادية، يقودون الإصلاح الزراعي أثناء ما يعلمون الناس دينهم. نكون في حاجة لرجال ينهضون من وسط الميدان، جنبا إلى جنب مع الشعب، بقوى البناء في ثقة وحماس وود.

*** دعاة فعلة**

نحن غدا بحاجة لدعاة فعلة، لا لخطباء ملتهبين من فوق رؤوس الشعب.

دعاة فعلة. قلب مع الله، ولسان لاهج بذكره والثناء عليه والدعاء إليه، ويد تصنع في الطين، وفي البيئة الملوثة تصلحها، في مخلفات الفساد تميط أذاها، في المهمات الشاقة الدائبة اليومية جهاد.

يستعمل الناس كلمة «تضحية» ونستبدلها نحن بكلمة بذل النبوية. الذي يعبر عن عمله بكلمة تضحية ينظر إلى عمله يستكثره، ويمن به، ويعظمه، لينال رضى الناس. والتطوع في الخير الذي نعبر عنه بكلمة بذل فتوة ترى فضل الله على أهلها أن أهلهم لخدمة دينه والموت في سبيله.

ولا معنى لعبارة الحل الإسلامي إلا ببذل شامل. يبدأ ببذل العصبة المؤمنة مالها ووقتها وجهدها وعرقها ونفوسها في سبيل الله، ثم يسري البذل في المجتمع ليذيب الفروق الطبقية، والظلم الاجتماعي، ويحول البطالة عملا، والكسل نشاطا، والتواكل همة، والتبعية استقلالا.

سيسألنا الناس، يسألنا الشعب، يوم نصل إلى الحكم: بماذا أتيتم؟ أية خدمة؟ أي تغيير؟ في حياتنا اليومية؟ في آمالنا؟ في كرامتنا؟ ما هو بديلكم عن الإدارة الرشوية؟ عن الاقتصاد الاستغلالي؟ عن البوادي السائبة؟ عن المدن الفاسدة؟ عن الأسواق الكاسدة؟ عن الأيدي العاطلة؟ عن التعليم الفاشل؟ عن الصحة الخربة؟ عن الشباب المخدر؟ عن الأمية والجهل الفاشيين؟ عن الخبز الذي نبتاعه بكرامتنا واستقلالنا من خارج؟ عن أموالنا التي يبذرها السفهاء؟ وتطول لائحة البؤس حتى كأنها بلا نهاية. شبكة أسئلة من ورائها غابات من المشاكل.

لو كانت الدعوة معارضة أبدية لكفى أن نربي خطباء يصدعون بكلمة الحق في المحافل، وكتابا يعلقون على فشل الآخرين في الجرائد.

لو كان الإسلام قضية ضائعة، يبرر أهلها ضياعهم ويسلون أنفسهم بعرض المبادئ السامية، لكفانا أن نحسن أساليب الخطاب للبكاء على ما ضاع.

لو كان الإسلام ماضيا لا يرجع لكفانا أن نختار من بيننا من يتقن ترجيع الحنين، والبكاء على الأطلال.

لكنها معارك: إيجاد شغل للعاطل وخبز للجائع، وتغيير اجتماعي، وتوزيع عادل، وإدارة مجدية، وصناعة تقنية، وقوة تدفع العدو، واقتصاد يحررنا من التبعية.

إنتاج وتوزيع ومستوى معيشة. تدبير ما كان غيرنا يدبره من صغير الأمر وكبيره. مع هذا الفارق الضخم، وهو أنهم كانوا في هوي إلى أسفل العقبة والهوي سهل على الهمم الساقطة، بينما نحن يجب أن نصعد العقبة ونقتحمها. مخلفات تركوها. فساد على كل المستويات.

كيف تكنس القاذورات؟ كيف ينظف البيت؟ كيف يعاد ترتيبه؟ كيف توزع وظائفه؟ كيف تستصلح العناصر البشرية ذات الغناء والخبرة في خدمة الفتح الإسلامي؟

أموال ضاعت فكيف تعوض؟ من أين نقترض؟

لا بد أن يستثمر خيراتنا غيرنا لمدة ريثما نقدر نحن على الاستقلال، كيف علاقتنا بمن يستثمر؟

مهمات كالجبال، تحتاج لرجال سامقي الهمم، متوفري الخبرة، قادرين على العطاء بلا حساب.

بذل.

دعاة فعلة، متواضعون، على مستوى المهمات اليومية، بالصبر الدؤوب. وعلى مستوى المهمات المصيرية، بنفس الهمة، والفعل الخبير، والدقة والتواضع.

دولتكم يا جند الله لن تكون أعظم من استعدادكم للبذل، كما أن الزحف لبنائها لن يكون إلا سرابا إن لم يدفعكم لساحة الشهادة في سبيل الله حبكم لله تبذلون فيه مهجكم، طاعة له وتطوعا. قال الله عز وجل: ﴿**فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ**﴾ البقرة، 184. خير له في الآخرة وخير للأمة من الدنيا.

شعب الخصلة

*** الشعبة السادسة والثلاثون : الزكاة والصدقة**

من النفقة في سبيل الله واجب وهو الزكاة. وبعد الزكاة واجب ما دام في الأمة حاجة، ما دام فيها الفقير والمسكين، ما دامت الأمة غارمة يستدين بعضها من مصارف اليهود أموال بعضها التي أودعها سفهاء الجبر هناك.

الزكاة تؤخذ بسلطان الدولة. وتصرف لتسوية الفروق الشاسعة بين المالكين الأغنياء والمتسكعين المحرومين.

الزكاة نسبة من رأس المال معلوم قدرها في العين -أي النقد- وفي الأنعام وعروض التجارة. وشرطها الحول. وبشرط الحول يتصور متصور أن الأموال يحتفظ بها راكدة حتى يمر العام. والحال أن المسلمين بحاجة ماسة لترويج أموالهم أقصى ترويج لتنتج.

شرط الحول فقه بالنسبة للفرد الذي يحسب حسابه ليؤدي حق الله في ماله. أما الفقه الضروري للأمة فهو فقه ترويج الأموال، وتحريكها، واستثمارها، مع اقتضاء حق الزكاة فيها. وهذا يطلب اجتهادا في زكاة الأموال المستثمرة في الصناعة بما يشجع رصد الأموال لتوفير وسائل الإنتاج وبناه، دون أن يسمح لها بالهروب من أداء ما عليها من حق.

هذا يطلب اجتهادا لتفتيت الملكية بما يكفل سد الثغرات الطبقية دون هدمها (أي الملكية).

الأمة في أزمة، في حالة استثنائية، مهددة من خارج بغزو العدو المحتل أراضينا ونفوسنا وعقولنا. أموال المسلمين في يد السفهاء يلعبون بها، وقد جعلها الله قيما للأمة، يجب أن تقبض الأمة بسلطان دولة الإسلام على أيدي السفهاء، وتعمل على إعادة التوازن بين الأغنياء والفقراء.

المستكبرون المتسلطون على قيمنا يهربون الأموال، ويكنزونها، وينفقونها على الترف واللهو.

فغداة قيام الدولة الإسلامية ينبغي تخطيط اقتصاد الكفاية والقوة بما يشبه ما يسمى بلسان العصر «اقتصاد حرب». يجب تعبئة الأموال، فلا يسمح لطبقة أن تحتكرها، ولا أن تهربها أو تكنزها أو تنفقها على الترف بل يشجع الاستثمار المنتج.

نحن بحاجة إلى اقتصاد جهاد بدل اقتصاد البذخ المترهل. الزكاة بوصفها أخذا من رأس المال تعيد قسمة الأموال من أصولها. وقاعدة أخرى نبوية هي قاعدة بذل الفضول، تأخذ الأموال من أطرافها لتوزيع الثروة توزيعا عادلا.

روى الإمام مسلم عن أبي سعيد الخدري قال: «بينما نحن في سفر إذا جاء رجل على راحلة له. فجعل يصرف بصره يمينا وشمالا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من كان معه فضل ظهر** (أي دابة زائدة على حاجته) ف**ليعد به** (أي فليعطه) **على من لا ظهر له. ومن كان معه فضل زاد فليعد به على من لا زاد له**» فذكر من أصناف المال ما ذكره. حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل».

السفر كان سفر جهاد فوجب التوزيع العادل. وقد فهم الصحابي الجليل أن أمر النبي صلى الله عليه وسلم بذل الفضول بتلك اللهجة وفي تلك الظروف نزع لحق المالك، وظن الصحابي ترجيح من جانبه لكون الأمر كان عزمة نبوية. فنحن أولى بهذا الظن ومصير الأمة في خطر.

*** الشعبة السابعة والثلاثون : الكرم والنفقة في سبيل الله**

الزكاة حق الله، وبذل الفضول عزمة نبوية في ظروف خاصة. فهما نصيب الطاعة في إقامة العدل الاجتماعي.

وبعد الحق المفروض، والعزمة اللاحقة بالفرض، يأتي التطوع من صدقة يحب الله مؤتيها ويثيب عليها، ومن كرم يتحلى به المؤمن.

الصدقة التطوعية والإنفاق والكرم الفاضلون تكملة فقط لواجب الزكاة وبذل الفضول. فالمجتمع الإسلامي صلبه العدل المفروض، ولحمته التطوع بالخيرات. قاعدة العدل الواجب عليها يقوم الهيكل الاجتماعي، ثم يكسى هذا الهيكل، ويجمل، وينتعش، وتدب فيه الحياة الأخوية، بالعطاء المحب.

لا تستطيع الدولة بسلطانها أن تعوض الناس عن الحنو الأخوي والتعاون بينهم، حتى ولو توفر لها من الأموال ما تسدد به نفقات ما يسمى بلغة العصر دولة الرخاء العام.

مال وزع بالقسطاس، هذا عدل. لكن الإنسان لا يعيش سعيدا بمقياس ما لديه من مال. لا تقدر الدولة أن تنكب على الحالات الشخصية، ولا أن تعطي مع الحوالة بسمة ومساعدة محبة رحيمة.

في الإسلام حق الزكاة تستخلصه الدولة، وفي الإسلام حق أخوي فرضه الإيمان، تقتضيه يد الحاجة من الإحسان الذي أمر الله به.

*** الشعبة الثامنة والثلاثون : إيتاء ذوي القربى واليتامى والمساكين**

بعد توحيد الله وعبادته أمر الله بالإحسان، الأقرب فالأقرب. قال الله سبحانه: ﴿**وَاعْبُدُواْ اللهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً**﴾ النساء، 36.

لا يحب الله المتكبر المستعلي على المسلمين، الشحيح بماله، إنما يحب من ينفق ليسد الخلة، ويلبي الحاجة، ويأسو الجرح، ويكفل اليتيم، ويرحم المسكين، ويحمل الكل، ويعين على نوائب الحق.

لا تنفصل الدعوة ووازعها عن الدولة وسلطانها في حياة المسلمين حين يستقيم لهم الأمر. كلاهما تكمل عمل صاحبتها. السياسة والخلق، الإدارة والتطوع، العقل والقلب.

بر الأقارب ابتداء بالوالدين واجب. ويعتبر الإسلام منع ذوي الرحم من بر المسلم من الفظائع. ويعتبر قطع ما أمر الله به أن يوصل من الموبقات. مال اليتيم له الحرمة القصوى. الأرملة، والبنت، والمعسر، وذو الكربة، والملهوف، فرص ليتقرب المحسنون ببرهم إلى الله. ثم هنالك العطاء على الإسلام وتأليف القلوب عليه.

كان الإمام عمر بن الخطاب رضي الله عنه يرى بعد أن عز الإسلام أن لا مجال لتأليف الناس بالعطاء. وفي عصرنا يتشوف المستضعفون من الشعب أول ما يتشوفون إلى عدل يقيم أودهم، وينتشلهم من بؤس الجهل والفقر والمرض. ولن يستمع المحرومون المستضعفون لكلمة الإسلام إن كان الإسلام لا يعطي خبزا وشغلا ومستشفى ومدرسة وكرامة.

الشعب لطول ما استغله المستكبرون، وافترسه صنائعهم فساق الإدارة، ومرتشو الحكم، ونهابو الأمة، عاد مجموعة من المشردين العاطلين البؤساء. فلا بد لسيف العدل الإسلامي أن يفتح مجالا لترجع إلينا، مع العمل المفروض بالقرآن يعضده السيف وينفذ أمره، تلك الأخلاقية السامية، أخلاقية التراحم والمواساة والتكافل بين المسلمين.

*** الشعبة التاسعة والثلاثون : إطعام الطعام**

أولى الضروريات بالنسبة للفرد غذاؤه اليومي. وأولى الضروريات بالنسبة للأمة أن تنتج غذاءها في دارها فلا تحتاج أن يساومها بالشعير والقمح غذاء الشعب ولا بالمنتجات الرافهة من ينتجون حين نكتفي بالاستهلاك، ومن يملكون الخبرة والقدرة على العمل وإرادة العمل وتنظيمه حين لا نملك ولا نقدر ولا نريد.

تبذر أموال الأمة على شهوات طبقة المترفين المستكبرين والشعب المسلم في بؤس ويبنى عندنا اقتصاد هامشي، فلاحة وصناعة وتجارة لإرضاء الشهوات على حساب هذا البؤس.

يعاد عند قيام الدولة الإسلامية بناء الهياكل الاقتصادية لضمان الضروريات قبل الحاجيات حسب تعبير فقهائنا. ثم ينظر بعد هذين في التكميليات، يبنى اقتصاد ينتج للشعب ويخدم الشعب، يعطي الأمة استقلالها، ويهدف القوة لا التكاثر عند طبقة مترفة.

يبقى إطعام الطعام على صعيد الحياة اليومية بين المؤمنين سنة نبوية ونستبدل بالموائد العادية في حياة الغافلين والراتعين، الحافلة بالأطايب من كسب يعلمه الله، سفرة الأخوة على القناعة والاكتفاء. فإن الاشتراك في الطعام، وبالآداب النبوية، مما يؤلف الله به القلوب.

وليكن إطعام الطعام وسائر أنواع البذل المذكورة في هذه الخصلة، عطاء من الدعوة ووسيلة لإبلاغ رسالتها. ليكن أول ما يراه المستضعفون من الجماعة برَّها الواصل واهتمامها الفاعل.

*** الشعبة الأربعون : قسمة المال**

على الدولة الإسلامية أن تصنع ثروة لتوزعها التوزيع العادل.

نقرأ في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرة أصحابه البررة، في حياته وبعد وفاته، أمثلة ناصعة للإيثار وقسمة المال. كانت أموال المسلمين تقسم عليهم من بيت مالهم بالأمانة العادلة. ثم يشيع المال الخاص من الأيدي الرحيمة التي لا تمسك ولا تعرف إمساكا على البائس الفقير.

هذه قصة واحدة من قسمتهم رضي الله عنهم. روى ابن سعد عن أم درة قالت: «أتيت عائشة بمائة ألف. ففرقتها وهي يومئذ صائمة. فقلت لها: أما استطعت فيما أنفقت أن تشتري بدرهم لحما تفطرين عليه؟ فقالت: لو كنت أذكرتني لفعلت»!

في عصر الأنانيات ما أحوجنا أن نتخلق بأخلاق من ينسى فطوره ويعطي بلا حساب!

الخصلة الخامسة: العلم

العلم تربية

نعوذ بالله من علم لا ينفع !

جاء في الأثر التعوذ بالله من علم لا ينفع. علم الحق النافع دنيا وأخرى

هو ما جاءنا من الوحي في الكتاب والسنة. وكل العلوم الكونية الأرضية إنما تنفع إن استعملت لإبطال الباطل وإحقاق الحق. كما أن علم الحق يبقى في عين غيرنا نظريات وأساطير إن لم نتسلح بالعلوم الأرضية وحكمة الأمم كي نجسد ما نؤمن به من الحق على أرض الواقع.

علم الفقيه منا ينفع إن برز من قلب خاشع، وتمثل وعظا صادقا تتفتح له قلوب المؤمنين، أو تمثل فتوى على بينة، التزم بها هذا أو ذاك ممن يراقب الله من المسلمين ويرجو اليوم الآخر.

وإنما ينفع علم الفقيه الأمة يوم يتكامل نظرة شاملة عن الكون وخالقه، والإنسان ومصيره، والتاريخ وسنة الله فيه، والإسلام وحركته في الزمان والمكان، وواقع المسلمين وأسباب تخلفهم، وضرورة تجديد دين الأمة ومنهاجه، والعقبات الخارجية والداخلية، النفسية والاقتصادية والاجتماعية أمام هذا التجديد، والزحف الذي يوصل جند الله إلى الغلبة والنصرة وتنظيم الدولة الإسلامية وتوحيد المسلمين، وتأهيل الأمة لقيادة العالم وحمل الرسالة.

نحتاج لتصور إسلامي لكل هذا، تصور تكون روحه وباعثه ودليله العبودية لله تعالى، ويكون مدده ومادته ما يستنبطه العقل المؤمن المتخصص من كتاب الله وسنة رسوله وناموسه في الكون.

علم الحق شرع به نكون مؤمنين حين نحقق مقاصده.

ونواميس الله في الكون قدر على مقتضاه يسوس الله عز وجل مملكته، فبإتقان علوم تلك النواميس نكون قد أعددنا القوة التي أمرنا بإعدادها، فاستحققنا الخلافة في الأرض.

*** النقل والعقل والإرادة:**

ما منا إلا من يقول في معرض التحدث والتساؤل عن العمل الإسلامي ومنهاجه، ينطق بهذه العبارة الصارمة: «كتاب الله وسنة رسوله».

لا مراء أن المحفوظ من حفظه الله من الشك في هذا. بيد أن الكتاب والسنة أصلان سماويان. فهما في منتهى الكمال إذا اعتبرناهما مجردين. فإذا نزلنا إلى الميدان، وشهدنا الناس في قابليات الفهم، وإرادة الجهاد، والإخلاص فيه، وجدنا أن تصور كل للكتاب والسنة يخالف تصور الآخرين. فكلما قيل جوابا عن تساؤلنا على عتبة العمل: «الكتاب والسنة»، قلنا: «الكتاب والسنة نقل» فبأي عقل وبأية إرادة نحن مقبلون على تطبيقهما؟.

علم هو بالجهل أشبه إن عمدنا إلى الكتاب والسنة نستنطقهما بذهنية لم تستكمل وسائل العلم، فهي تنظر إلى ذلك الماضي النير بحنين ومحبة، حتى إذا دعيت لمواجهة الحاضر وتخطيط مستقبل الإسلام، انكفأت عن كآبة الحاضر وشره، وانغلق فهم التاريخ عليها، فلعنت، واستعاذت بالله، وبررت بلعناتها الانزواء.

وعلم هو الشر حين تكون النصوص سلاحا لتكفير المسلمين وتضليلهم.

وعلم هو عين الانسلاخ من آيات الله حين يرضي عالم السوء الناس بما يسخط الله، يريد ما عند الناس فتزل به القدم، فلا ينتبه إلا وقد أصبح لعبة للشيطان.

*** العلم النافع:**

ليس العلم النافع ما تكدست فيه النقول، وقل الفهم، وانتكست الإرادة. قال مالك رحمه الله: «ليس العلم بكثرة الرواية. إنما العلم نور

يضعه الله في القلب». نور! وروى الإمام أحمد عن أبي جحيفة قال: «سألنا عليا رضي الله عنه هل عندكم (يعني آل البيت) من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء بعد القرآن؟ قال لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة! إلا فهم يؤتيه الله عز وجل رجلا في القرآن» الحديث. فهم!

العلم فهم العقل الخاضع لجلال الله، ونور في قلب من أيده بالإرادة الجهادية.

1. في مسيرة جند الله فقه وفير نزل إلينا من تاريخنا العلمي الحافل. يجب ألا يكون الخلاف على اجتهاد سلفنا شغلنا، لكن الاستفادة من مناهجهم في الاجتهاد، نتمرس لنتجاوزها ونستقي من المعين الذي استقوا منه. فإلى تلك الرجولة ينبغي أن نهدف لا إلى الحومان حول ما قالت أجيال من سبقونا بالإيمان رحمهم الله.

ما كلنا يستطيع النظر في كتاب الله وسنة رسوله، فلا أقل من أن نغلق أبواب الخلاف العقيم. قال الإمام البنا رحمه الله في أصوله: «وكل واحد يؤخذ من كلامه ويترك إلا المعصوم صلى الله عليه وسلم. وكل ما جاء عن السلف رضوان الله عليهم موافقا للكتاب والسنة قبلناه، وإلا فكتاب الله وسنة رسوله أولى بالاتباع. ولكننا لا نعرض للأشخاص فيما اختلف فيه بطعن أو تجريح، ونكلهم إلى نياتهم، وقد أفضوا إلى ما قدموا» وقال: «لكل مسلم لم يبلغ درجة النظر في أدلة الأحكام الفرعية أن يتبع إماما من أئمة الدين. ويحسن به مع هذا الاتباع أن يجتهد ما استطاع في تعرف أدلة إمامه، وأن يتقبل كل إرشاد مصحوب بالدليل متى صح عنده صدق من أرشده وكفاءته، وأن يستكمل نقصه العلمي، إن كان من أهل العلم، حتى يبلغ درجة النظر».

2. ما نزل إلينا من اجتهاد حافل لا يكاد يتجاوز الفقه العبادي الفردي والمعاملات الاجتماعية. عكف فقهاؤنا رحمهم الله على ذلك بعد أن عزلهم السلطان عن الحياة العامة، وأفردهم للفتوى في شؤون الناس اليومية.

جل ما عندنا من فقه سلفنا الصالح فقه فروع لا نستغني عنه.

لكن الذي نحن بحاجة إليه هو الفقه الكلي الذي يشمل كل العبادات الفردية والمعاملات الجزئية، في نسق واحد يؤدي وظيفة إحياء الأمة وإعادتها إلى حضن الشريعة وصراط الله.

تقلصت الشريعة تحت الحكم العاض والجبري حتى أصبح اليوم مجالها لا يتعدى ما سموه بالأحوال الشخصية من زواج وطلاق وميراث، أو ما بقي في المسجد من وعظ وتذكير، وفي ذمم الأفراد من صلاة وزكاة وحج.

العلم الكلي النافع الذي نحتاج إليه هو ذاك الذي يخط لنا ويعلمنا كيف ننفذ حكم الله في إقامة الدولة وتسييرها، في تنظيم المجتمع وإقامة العدل فيه، في تربية وتنظيم جماعة المؤمنين، في إدارة شؤون المسلمين إنتاجا وتوزيعا ومعالجة للمعايش، في إدارة الاقتصاد ووظائفه، في جعل أمور الأمة شورى بين رجالها من أهل الحل والعقد، في تنظيم الاجتهاد لاستنباط أحكام الله من كتابه وسنة نبيه لهذا العصر ولهذه الشعوب الموزعة في الأرض، وبهذه الوسائل المتاحة، ولهذا الهدف الذي أصبح قبلة للإرادات الجهادية المتجددة.

3. واجب على كل مؤمن أن يأخذ من العلم بقدر ما يقيم به فرضه وسنته. ويتوسع في فقه الشريعة ما أمكنه.

وبعد فرض العين هذا الذي يكون الحد الأدنى المشترك بين جند

الله، ويدرس جماعة وبالتدريج، يتعين على ذوي الكفاءات والاستعداد التفرغ لكسب العلوم التخصصية. والقيام بها في حق الكفء فرض ثابت. فهذه العلوم التخصصية، ما كان منها تعمقا في علم الحق، وما كان منها مهارة وخبرة عمليين في شؤون الصناعة والتكنولوجيا، أو نظريا من علوم العصر، ضرورية لحياة الأمة، مفروض عليها أن تتخذها.

فمن العلوم العينية كتاب الله عز وجل تلاوة حفظا وفهما، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم دراسة واتباعا، وإتقان لغة القرآن لمحاربة الهيمنة الثقافية الأجنبية واحتلالها عقول أبنائنا وميادين حياتنا. في أول عهد الوارد علينا نوجهه لكتب الفقه المبسطة حتى يأخذ منها نصيبه. وفي نفس الوقت نحضره ونحضر معه حلقات في المسجد لدرس القرآن والحديث والسيرة، وتنظم هذه الدروس بحيث يستفيد منها العامة على مستواهم، ويجد فيها جند الله مزيدا من العلم كل على درجته. القرآن بتفسير أو تفسيرين، ويتوسع العالم. البخاري ومسلم مباشرة بالشروح المعتبرة. وأثناء ذلك يتعلم جيل التجديد لغة القرآن ولغة السنة. فاللغة العربية، تلك الصافية المتينة لا لغة الجرائد، هي الآلة والوسيلة لفهم ما أنزل علينا بلسان عربي مبين. فلا بيان إلا بها، أي لا وضوح.

ومن علوم الكفاية اللغات الأجنبية، والعلوم التجريبية التقنية، وعلوم التنظيم والإدارة، وعلوم السياسة والاجتماع. ونجرد كل هذه العلوم مما علق بها من مباشرة الجاهليين لها. وما تنطوي عليه مما يسمونه بعلوم الإنسان، والإديولوجيات من فلسفة كافرة، وتصور مادي نطلع عليهما لندحضهما في نقاشنا للمغرورين المضللين من أبنائنا.

وفي مرحلة تابعة نطوع كل هذه العلوم ونحذقها، لتنهضم في جهازنا العلمي، وتنصهر في بوتقتنا، وتخدم أهدافنا.

المنهاج العلمي في النقد، والملاحظة، والتحليل، والتركيب، والاختبار، انضباط ضروري وشرط أساسي لتحويل عقليتنا التقليدية اللفظية إلى عقلية صانعة منظمة دقيقة.

هما ذهنيتان عندنا عقيمتان. الذهنية الرعوية، ذهنية شعب درج على الخنوع للحاكم. ثم الذهنية اللفظية التقليدية التي تملأ أركانها ألفاظ غير محدودة المعاني، لا تصورات واضحة وأفكار هادفة.

المنهاج النبوي يجمع لنا بين نور القلب الذي يصدق بالحق ويخضع له، وبين فهم العقل المنضبط بالعلمية، والتجربة، والدقة في الحكم. بهذا العقل فقط يمكن أن نبني، وبذلك القلب فقط يكون البناء إسلاميا على هدى من الله.

العلم تنظيما

*** وحدة التصور**

قال الله عز وجل لنبيه ولنا: ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ**﴾ محمد، 19.

أول العلم التوحيد، يتلوه عبادة الله سبحانه. وحدة العقيدة تلزم وحدة المعبود. وهذه تلزم وحدة السلوك الإيماني، ووحدة الولاية، ووحدة الغاية والهدف.

عقيدتنا الموحدة تقتضي منا أن نسعى لتوحيد الأمة ابتداء من توحيد الجماعات القطرية. إذا كان أمر الله لنا واحدا، ومسؤوليتنا عن

تنفيذه واحدة، وإرادتنا تنفيذه صادقة، فمآلنا أن نتوحد لنكون تلك الأمة المنعوتة بالخير، الشاهدة على الناس بالقسط. الذي يعوق التوحيد هو:

1. ما طرأ على الكتاب والسنة وتفرع عنهما من شروح واجتهادات القرون. فروع الاجتهاد الفقهي العبادي وهو أكثره، ومذاهب أصول الدين وأصول الفقه، تمثل كتلة أمام ناظرنا تحجب عنا الأصول. فلكل مذهب وفئة مخلفاتها من الاجتهاد.

2. اختلاف المؤمنين المعاصرين في درجة الفهم والقدرة على النظر. فلكل جماعة من المسلمين المجاهدين نظرتها للإسلام ومقاصده، والجهاد ووسائله، والزحف ومراحله.

3. ما يغشى هذه الإرادات البشرية من فتور يدعو لمسالمة الواقع، أو حماس مندفع يريد القفز إلى المستقبل قبل أن يوطد أقدامه في الحاضر، أو نفور وتنافس بين الأشخاص، أو حب للظهور والرئاسة وغلبة الخصم في الحجة.

هذه العوامل الثلاثة مجتمعة متشابكة، يغذي بعضها بعضا ويعوضه.

فاستصلاح اجتهاد فقهائنا الأقدمين في الفروع، وتوحيده، وإدماجه في اجتهاد مجدد كلي، ضرورة وواجب كفائي به نتجاوز الخلاف في النقل.

وقابلية التعلم بالانفتاح العقلي والثقة بمن لهم القدرة على النظر ضرورة وواجب في حق جند الله.

والإخلاص لله وحده في حق الجميع، ناظرين ومتعلمين، ضرورة وواجب، بدونه تخبث النفوس، ويحركها الشيطان والهوى.

وحدة اجتهاد . وحدة تصور. وحدة إرادة.

بدون هذا تكون سفرتنا إلى غير رشاد.

جند الله ينبغي أن يكون لهم نفس الفهم لمهماتهم، وهذا يقتضي أن يرجع الواحد إلى إخوته للتشاور في الأمور العارضة، في إطار مخطط للعمل، يعرف كل خطوطه العريضة ووسائله وأهدافه. وقد بيَّنَّا طريقة الحسم فيما فيه الشورى.

إذا شرعنا في عمل جماعي قبل أن نتفق على تصورنا للعمل من كل جوانبه، فأدنى خلاف يوقفنا، وسنختلف على كل شيء، ومن ثم سنعجز عن الاستمرار، ونقف، ونفشل، ونرتد إلى فرديتنا وغثائيتنا الأولى. نعوذ بالله من النكسات!

*** ذهنيات:**

استعرضنا الذهنية التبسيطية المركبة على نفسية راضية عن ذاتها تشير إلى الغير بأصابع الاتهام، وتعيث فسادا بأفكار صبيانية ساذجة.

هذه الذهنية المبسطة واثقة عادة من نفسها، تنسب الخطأ لكل ما خالف نظرتها الضيقة، وتنخدع، وتتعصب.

فحين نحتاج لعقول نيرة شجاعة تكشف غامض الحاضر وترتاد إمكانات المستقبل وتشق الطريق للعمل، تعترضنا هذه الذهنية الملازمة لتلك النفسية فنسقط في الجدل العقيم، القاتل للإرادة، المثبط للعزائم.

استعرضنا الذهنية الذرية التي لا تنظر إلى ما في أمور الشريعة والحياة من ارتباط، لا تستطيع تصور الإشكالية المركبة من تداخل السياسة، والاقتصاد، والتربية، والاجتماع، والوضع الداخلي والخارجي، والظرف

المكاني والزماني، وتطور الأحداث، ووجود التناحر على الهيمنة وتنازع البقاء بين أقوياء الأرض، وضرورة وحدة المسلمين، والاستناد لكتلة المستضعفين في الأرض، وعزائم الشريعة في كل هذا ورخصها، ومقاصدها ووسائلها، وقواعدها في حالة الرخاء وحالة الاضطرار. إلى آخر ما هنالك.

هذه الذهنية عاجزة عن تصور عمل إسلامي في نسق منتظم على منهاج يرتب الوسائل لتبلغ الأهداف، ويرتب المراحل والأولويات، ويترك في حسابه مكانا للمرونة عند الطارئ المفاجئ والضرورة الغالبة.

هذه الذهنية عاجزة عن تجسيد المنهاج في خطة وبرنامج صالحين للتطبيق.

بالذهنية الراضية عن ذاتها والذهنية الذرية المشتتة يمكن أن نتحرك، ونهيج ونحمس، ونهدم، لكن البناء يريد النظرة الموضوعية، الثابتة، الشاملة، الإرادية لا الحماسية.

قبل قيام الدولة الإسلامية نحتاج لعقول استوعبت المنهاج لتضع الخطة في عمومها، وتهيء في إبانه برنامج الحكم الصالح للتطبيق، المؤسس بنيانه على تقوى من الله. دراسات، وملفات، وبنى الاقتصاد، ومؤسسات الحكم تعاد صياغتها، وإحصاءات وتدبير معاش الشعب.

وبعد قيام الدولة الإسلامية يجد جند الله أن لهم رجالا بالحجم الكافي والنوعية الممتازة، لأخذ الزمام، وإحلال شريعة الله في كل المجالات محل القوانين الوضعية، ولتسيير دواليب الحكم في حركة متناسقة، منسجمة، مجدية، ناجحة.

الذهنية التي تتصور الدعوة معارضة أبدية ونقدا واتهاما تقف

عند حدودها. لا تستطيع أن تعيش إلا وسط الفتنة التي من كشف عيوبها وآثامها تتغذى.

فإذا اقترحت على إخواننا ممن لهم هذا التصور أن يتخيلوا ما أمام الإسلاميين من أهوال الاضطهاد، وصعوبات الزحف، وأوحال وآثام غرق فيها المسلمون ولا بد من تشمير السواعد الطاهرة لرحضها وتطهيرها وكنسها، فزع واستعاذ بالله. ثم خنس إلى ما به يأنس من تزكية النفس واتهام المسلمين.

الحكم يلوث. ولا بد لجند الله يوما أن يدخلوا في صرب (كلمة فصيحة) الفساد ليرحضوه. ولا بد أن يتدرجوا في نفي مخلفات الفساد، وهذا يعني أنك يا حبيبي يا من تتصور الجهاد فسحة وإقامة الدولة الإسلامية نفحة قدسية ملائكية، ستتحمل إن شاء الله ريح النتانة ورشاشها على ثيابك البيضاء وأنت تنقل العفونات وتضمد الجراحات.

*** الاجتهاد الجماعي:**

لكي يكون لجند الله تصور واحد للخط العام، واجتهاد واحد لما يطرأ، وشورى لها حد تنتهي إليه قبل أن تصبح جدلا، لا بد أن ينبري للاجتهاد جماعة من المؤمنين. إن مشاكل العصر، وتشعب مهماتنا، ومخلفات النقل، واختلاف الإرادة والعقل، لا ينهض لها مجتهد واحد ولا أفراد مجتهدون. لا بد من اجتهاد جماعي. لا بد من مجلس للاجتهاد. ويبقى للأمير الكلمة الأخيرة فيما شجر من خلاف بين المجتهدين، ليرجح حيث عجزوا عن توحيد النظرة. فإن الرسول صلى الله عليه وسلم جعل الاجتهاد للحاكم. والأمير هو الحاكم الأول، وإنما يجتهد من دونه بتكليفه، ونيابة عنه، وسدا لواجهة هذا الفرض الكفائي -فرض الاجتهاد- الذي لا يقدر عليه الأفراد مع جسامة المهمات، وغموض المسالك، وثقل التحملات. روى الإمام أحمد والشيخان وأصحاب السنن أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال: «**إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر واحد**».

مقدمة سنن الإمام الدارمي تصور لنا أن الاجتهاد عند السلف الصالح كان فطريا. فلما تجدد في الأمة فجور تجددت لها أحكام كما قال الإمام عمر بن عبد العزيز. وأثل لنا سلفنا الصالح من علماء الأمة أصولا في الاجتهاد، فبنوا على الكتاب والسنة والإجماع، واختلفوا في القياس والمصالح المرسلة وعلّية الأحكام.

لا يصلح للاجتهاد الجماعي من يرون أن كل شيء في الشريعة تعبدي غير معلول. لأننا بطرد القياس نبقى عاجزين عن مواجهة الحاضر والمستقبل، فبذلك نكفر بشرع الله الصالح إلى يوم الدين. الجماعة المجتهدة إذن هي التي تتفق على الأصول الاجتهادية وتعلم أن للشريعة مقاصد، وإن التحرك نحو هذه المقاصد والوصول إليها تعبدي وعلّي في نفس الوقت. نجتهد لإحلال شرع الله محل الشرائع الوضعية لأن الله أمر. فتلك عبادة. ونقيس فيما ليس فيه نص ولا إجماع لضرورة إدخال ما جد من تصرفات الناس، ومعاملاتهم، وعلاقاتهم، تحت حكم الله فتلك علية المصالح المرسلة، ثم نضع في حسابنا ضرورة التدرج في إحلال الحق محل الباطل، لأن الله قال: ﴿**وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ**﴾ الأنعام، 119. نعوذ بالله أن نكون ممن ينتقصون من شرع الله حرفا بدعوى التخفيف على المسلمين ! لا، الشريعة في صرامتها وكمالها. لكن التطبيق، والأمة ترجع إن شاء الله للإسلام من مكان بعيد، لا يمكن أن يكون إلا تدرجا.

ما كلف الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم أن يطبق كل الشريعة دفعة واحدة وهو المؤيد المعصوم. إنما نزلت الشريعة تباعا، فانتقل الناس من جاهلية لإسلام. كذلك الرجعة من فتنة لإسلام. لا بد فيها من تدرج.

تدرج للضرورة لا إنكارا أن هذا حرام وهذا مكروه، وهذا مندوب.

سألت أخا ذات يوم: «ما تفعل بهذه الأبناك الربوية وهذا الفساد في الأمة لو أصبحت غدا صاحب الأمر؟».

قال الأخ الصالح: «أوقف كل شيء وأدعو الله أن يفتح!» قلت: «إذن لا تدوم دولتك أكثر من ثلاثة أيام!، ثم إنك تكفر بسنن الله عز وجل الذي جعل من نواميس الكون التدرج لا الطفرة، وأوجب عليك اتخاذ الأسباب الأرضية في جهادك، لا طلب الكرامة والمعجزة فيما يخرق نواميسه».

بعد هذا ومعه لا بد من اجتهاد جماعي.

روى الإمام أحمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**فما رأى المسلمون حسنا فهو عند الله حسن**». وعند ابن ماجه قوله صلى الله عليه وسلم: «**إن أمتي لن تجتمع على ضلالة. فإذا رأيتم اختلافا فعليكم بالسواد الأعظم**» صححه السيوطي. وفي الحديث مبدأ الأخذ برأي غالبية المجتمعين.

فذكر جماعة في الحديثين. فمتى اجتمعت عصبة من العلماء على اجتهاد كان أقرب أن يكون اجتهادهم شرع الله. بسلطانين اثنين: أولهما سلطان أنهم حكام اجتهدوا، وبسلطان كون اجتهادهم جماعيا.

نعم الأمثل أن يجتمع أفذاذ علماء الأمة كلها من كل الأقطار لهذا الاجتهاد. لكن الاضطهاد، والاحتواء، والتخويف، وتسرب علماء السوء إلى المحافل المختلطة يعوق دون ذلك. فما كان اجتهادا رسميا في الفروع اجتمع عليه علماء المسلمين، ورضيه الحكام لأنه لا يصدم مشروعهم التسلطي، قبلناه. ثم يستقل كل قطر باجتهاده الخاص حتى يأذن الله بكسر السدود وتوحيد الأمة.

الاجتهاد الجماعي عند سلفنا الصالح نجد أمثلة له عند الإمام الدارمي في سننه.

روي عن ميمون بن مهران قال: «كان أبو بكر إذا ورد عليه الخصم نظر في كتاب الله، فإن وجد ما يقضي بينهم قضىٰ به، وإن لم يكن في الكتاب، وعلم من رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم سنة قضىٰ بها فإن أعياه خرج فسأل المسلمين وقال: أتاني كذا وكذا، فهل علمتم أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قضىٰ في ذلك بقضاء؟ فربما اجتمع إليه النفر كلهم يذكر من رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فيه قضاء. فيقول أبو بكر: الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ عن نبينا. فإن أعياه أن يجد فيه سنة من رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم جمع رؤوس الناس وخيارهم فاستشارهم. فإذا اجتمع رأيهم علىٰ أمر قضاه».

الإمام لا يأنف أن يسأل. أمانة وقوة. فالخائن لا يتورع عن الزعم الظني، والضعيف، لجهله وطلبه حفظ حرمته ولو بالباطل، لا يعترف بالصواب إن جاء من غيره. ثم يسأل رؤوس الناس وخيارهم. لا يوسد الأمر إلىٰ غير أهله. فإذا اجتمع رأيهم علىٰ أمر قضاه. قياس وإجماع.

وروىٰ عن المسيب بن رافع قال: «كانوا إذا نزلت بهم قضية ليس فيها من رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أثر اجتمعوا لها وأجمعوا. فالحق فيما رأوا! فالحق فيما رأوا!».

وروي عن حميد قال: «قيل لعمر بن عبد العزيز : لو جمعت الناس علىٰ شيء! فقال: ما يسرني أنهم لم يختلفوا. قال: ثم كتب إلىٰ الآفاق، أو إلىٰ الأمصار، ليقضي كل قوم بما اجتمع عليه فقهاؤهم».

ترك الخليفة الراشد أمر الاجتهاد لكل مصر، ولم ير في الخلاف بأس. كذلك نحن في أقطار التجزئة ما دمنا في مراحل الزحف قبل الوحدة.

شعب الخصلة

*** الشعبة الحادية والأربعون : طلب العلم وبذله**

مصير الإنسان بعد الموت متوقف على استجابته لداعي الله أو إعراضه. فعلم الحق ضروري له ليعلم كيف يصل إلى السعادة الأبدية عند الله.

ومصير المجتمع وسط التدافع التاريخي متوقف على قدرته أن يخترع الوسائل الكفيلة بتوفير معاشه ووسائل الدفاع عن نفسه.

عندما ينتبه جند الله إلى خطورة التحديات التي تواجه جهادهم يجدونها دائرة حول ثلاث ثغرات في الكيان المسلم المبعثر المنحط حضاريا، المهزوم عسكريا:

1. **الثغرة الأولى**: غياب القوة الاجتماعية الوحيدة القادرة على إنقاذ الأمة عن ساحة الحكم. ألا وهي القوة الإسلامية الفتية التي انتظمت في بعض الأقطار، وهي في طريقها إلى الانتظام بإذن الله في أقطار أخرى. وعندما يكلل الله زحف المؤمنين فيصلون إلى الحكم تسد الثغرة الأولى بوجود الإرادة المؤمنة في مكان القيادة. هذه الإرادة المستنيرة بعلم الحق من كتاب الله وسنة رسوله. وعندئذ يستبدل شيئا فشيئا بقانون الوضع شرع الله، وفكر التقليد للجاهلية بعلم الإيمان، والفلسفات والإديولوجيات الأرضية بعلم الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

2. **الثغرة الثانية**: فقر الأمة من الرجال المسلحين بالإرادة الإيمانية والعلوم التكنولوجية الكفيلة بخدمة تلك الإرادة وتنفيذ عزماتها حتى تتحول أماني الأمة من عالم الأحلام والشوق إلى عالم الواقع.

3. **الثغرة الثالثة**: غياب التماسك بين أجزاء الأمة التي تذهب طاقاتها ومواردها وحريتها في الحروب بين هذه الأقطار الفتنوية. منافسات واضطراب وعدم استقرار. وهذه الثغرة لا يسدها إلا العلم بالله الذي يأتي نتيجة عن

تربية إيمانية تصوغ من المؤمنين المشتتين جسما عضويا واحدا. نتماسك عند رجوعنا إلى علم الحق لا الأنظمة الفكرية الجاهلية.

العلوم التي يتعين على الأمة أن تطلبها، وتبذلها لأجيالها وتنشرها فيهم، هي تلك التي يحركها روح العلم بالله وبسنة رسوله. فالخير كله في الفقه في الدين، وما يأتي بعد الفقه في الدين فهو وسيلة لخدمة مقاصد الدين.

إنما الدين النصيحة. فتحدي الإنتاج والتوزيع، وتحدي القوة العسكرية والتكنولوجية، وتحدي الوحدة والتماسك والاستقرار، لن يجاب عنها إلا بوضوح النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولعامة المسلمين وخاصتهم وإمامهم. لن يجاب عنها إلا بالعبودية لله. لا خير إلا في عالم ومتعلم يعملان بعلمهما، فهما فقط يمكن أن يقيما الدين بإقامة النصيحة على كل مراتبها. فإن لم يكن للمسلمين إمام فالعالم والمتعلم -أي رجل الدعوة- هم الأرجى أن يعلموا الأمة كيف تتحرك لتقيم منها إماما.

ليس فقه العبادات وحده هو فقه الدين، لكنه من أهم جوانبه إن تفرع عنه علم يغير المجتمع. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الترمذي وابن ماجه والبيهقي عن ابن عباس: «فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد».

إسلام قاعد في المسجد محوقل خير منه ألف مرة إسلام مجاهد. ففقه هذا الإسلام هو الفقه، والعبادة صلبه وروحه.

*** الشعبة الثانية والأربعون : التعليم والتعلم وآدابهما**

تدهورت مدارسنا تدهورا شنيعا. مناهج تعليمنا وضعها الاستعمار، فهي لا تزال امتدادا له. بل أشد الاستعمار وأنكره فينا هو الاستعمار الثقافي.

رحلت بعد الاستقلال الصوري أعداد كانت جراثيم مجسدة على أرضنا،

وحلت محلهم أعداد من الخبراء والأساتذة والعسكريين والمستشارين لحكام الجبر، هم أنكى فينا، لاستيلائهم المبرمج على عقولنا، وألسنتنا، ومراكز التوجيه في أجهزتنا. فهذه الجراثيم المعنوية أنكى فينا.

إدارتنا يسيرها من أبنائنا من هم النتاج الصرف للتربية الجاهلية. إعلامنا وثكنات الشيطان في السينما والمسارح والشارع يتكلم منها صوت الغواية والكفر والفساد. لغتنا محقورة مزدراة إلا عند الخطب الرسمية تمويها على الشعب.

التعليم عندنا حكر على الأغنياء والمحظوظين لدى الأوساط المستعمرة، العاتية فينا بمدارسها، ومراكزها الثقافية، ومكتباتها، وكتبها، وجرائدها، ومجلاتها، ومنحها الدراسية، وندواتها المميعة لأخلاقنا، الطامسة لديننا.

المحظوظون عند المستعمر الثقافي يعلمون أولادهم في مدارس هي المدارس، ويحصلون على شهادات هي الشهادات، وعلى تقنية تخولهم الاندماج في الطبقة الحاكمة. أما فينا معشر المستضعفين، فأفيون الثقافة الجاهلية يفعل فعل المخدر الفكري على شكل نشاطات ومهرجانات، وفعل المحرض والمهيج على شكل إديولوجيات، وفعل المضلل على شكل إعلام موجه عالميا ومحليا ليفتت فينا العزائم، ويثبط النوايا، ويزيغ بالخطى.

بآداب إسلامية نعيد إن شاء الله للعلم حرمته، وللمدرسة والجامعة وظيفتهما، ولعملية التربية والتعليم هيبتهما، ولعلاقات التعليم بين عالم ومتعلم سلوك الإيمان والثقة والمحبة والصحبة. نطرد فسقة القراء من منابر التضليل، وشياطين الجاهلية من مراكز التأثير. ومن الإعلام نطرد صوت الميوعة والانحلال والكذب، ليسمع صوت الرجولة والجهاد.

نترك إن شاء الله الجدل، ونتيح الفرصة لمن له قابلية التعلم، ونشجعه لتستفيد الأمة من كفاءته. تعليم للشعب المستضعف لا للنخبة المترفة.

في مساجدنا إن شاء الله تحيى مجالس الإيمان والعلم والحكم. وفي بيوتنا وشوارعنا ترفع كلمة الحق أن لا إله إلا الله فقد جاء الحق وزهق الباطل.

*** الشعبة الثالثة والأربعون : تعلم القرآن وتعليمه**

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان وأصحاب السنن وغيرهم عن عثمان: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**».

المؤمنون فرادى يتسابقون إلى هذا الخير. والحكومة الإسلامية تجمع الجهد، وتقنن هذا الشرع النبوي، فتجعل القرآن الكريم أول ما يدخل جوف الصبي. إن دخل جوفه النور فأحرى به أن ينشأ مهتديا. هذه الأمراض النفسية التي تصيب الأطفال والشباب والكهول ناشئة عن أوبئة النزغ الشيطاني. والقرآن، وهو شفاء لما في الصدور وهدى ورحمة، درع تقي المؤمنين من ذلك النزغ، وبلسم يداوي جراح الفتنة السابقة، ويهيء المحل، وهو قلب الصبي وعقله، لتلقي بذرة الإيمان والرجولة.

هذه الميوعات في برامج التعليم وكتبه وأساليبه ومضمونه يجب أن تطرح ليخلفها القرآن، لفظه ومعانيه، وعظه وقصصه، أحكامه وشرائعه، عوالمه الدنيوية والأخروية، الأرضية والسماوية.

من محضن الصبيان، إلى مدارس الفتيان، إلى جامعات الرجال، يكون حفظ القرآن، والعمل بالقرآن، وتعليم القرآن، والاحتفال بالقرآن، صلب التربية والتعليم.

وبأمر الله في القرآن، وقد وعاه الفتى من صباه، تنبعث رغبة الأمة في اكتساب وامتلاك علوم الكون والاستقلال بها. وأين متعلمونا -حتى من نجا منهم من عملية التمييع والعرقلة واستقطاب الجاهلية لأذكيائنا- في تفاهتهم من رجال المسلمين وعلمائهم الذين كان أصل تكوينهم ومحوره القرآن، وكان منهم أفذاذ في علوم الكون أثلوا المجد العلمي للإنسانية.

إن كان المسجد مركز إشعاع التعليم، والقرآن غذاء الصبي الأول، وزاده كل حياته فستنبعث فينا أجيال مصونة إن شاء الله، لن تستفزها المحرضات،

ولن يغريها الكسب. بل تكتشف في سن مبكرة أن لا عيش إلا عيش الآخرة، وأن الجهاد في سبيل الله هو الخطة المثلى، والهدف والمشروع، الصالح للنفوس الكريمة. والقرآن الكريم تتشربه الشخصية الغضة الفطرية هو وحده يعطي النفوس كرامتها، ويهديها فطرتها.

جند الله يسمعون كلام الله فينفذون أمره، ويحفظونه ليناجوا به مولاهم، يتلذذون تلاوته يذكرون حبيبهم، يأنسون به في الليل والنهار، يحدو أشواقهم إلى الله، يقص عليهم نبأ الموكب النوراني موكب الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، يحثهم على صحبة المؤمنين على درب الجهاد.

*** الشعبة الرابعة والأربعون : الحديث الشريف واتباع السنة**

السنة النبوية عندما نتخذها دليلا، ونموذجا للسلوك، ومرجعا لاستنباط فقه الحركة والجهاد، كفيلة أن ترفعنا إلى حيث نستطيع الإجابة عن كل التحديات.

والعلم حق العلم بعد كتاب الله هو السنة المطهرة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو داود وابن ماجه عن عبد الله بن عمر: «**العلم ثلاثة: آية محكمة، أو سنة قائمة، أو فريضة عادلة**».

ما جاءنا من قصص من كان قبلنا آيات تتلى. فكان جيل القرآن، جيل الصحابة في صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، يسمعون كلام الله يذكر لهم نماذج الجهاد يستحثهم للنهوض. ونحن إن شاء الله نولي وجهنا القلبي والفكري نحو ذلك النموذج النبوي، فنقرأ في السيرة المطهرة آيات الرجولة والإيمان والجهاد التي تعادل بل تفوق جهاد ورجولة وإيمان من كان قبلنا.

تدرس السيرة النبوية في حلق المسجد وأسر الجماعة تدريسا يتوخى ضرب المثل، وإبراز الحكمة، وفقه الحركة، كما يتوخى إيقاظ العاطفة وتوجيه الإرادة.

وعند قيام الدولة الإسلامية إن شاء الله تطهر كتب الدراسة من أساطير الجاهلية ونماذجها وأسمائها، لتتغذى الشخصية الإسلامية منذ نعومة الأظفار بالمثال العالي لحزب الله كما وصفه القرآن، وجسدته العصبة المحمدية في إيمانها وأخلاقها وسلوكها وجهادها.

*** الشعبة الخامسة والأربعون : التعليم بالخطابة**

الدعوة إلى الله نداء من قلب مؤمن، وعقل عالم، إلى سمع الناس وعاطفتهم. اللسان أداة هذا النداء، واللغة وسيلته، والفصاحة المقنعة المخلصة أسلوبه.

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا عظيما، وكان يرشد أصحابه إلى أساليب الخطابة الإسلامية، ويصحح أخطاءهم. وكان له خطيب يجيب الوفود. فكانت مساجلات خطابية حفظتها السيرة بين ممثلي القبائل وخطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة كل جمعة وخطب في المناسبات.

فيدرب جند الله على الخطابة بأصولها. ويوم تفتح للمؤمنين أجهزة الدولة يقدمون خطباءهم ليوجهوا الشعب، ويرشدوه، ويوقظوه، ويبعثوه للجهاد، ويحتفظوا بخطب الجمعة وخطب المناسبات على حماسه حتى يصهر من هذا الحماس إرادة جهادية ثابتة في السير.

دعني من الخطب الركيكة لفظا، الباردة شكلا، الفارغة مضمونا، التي ألفناها في مجتمع الفتنة!.

روى ابن سعد والبيهقي ومسلم بنحوه عن جابر قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب الناس احمرت عيناه، ورفع صوته، واشتد غضبه، كأنه منذر جيش: صبحكم مساكم !)أي كأنه ينذر الناس أن جيش العدو قد هجم) ثم يقول: **أحسن الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها،**

وكل بدعة ضلالة، من مات وترك مالا فلأهله. ومن ترك دينا أو ضياعا فإلي وعلي!».

*** الشعبة السادسة والأربعون : التعليم بالمواعظ والقصص**

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخول أصحابه بالموعظة (أي يلقيها عليهم بين الحين والآخر ولا يواليها).

والموعظة تذكير بالله، وباليوم الآخر، وبما فرض الله على المؤمنين والمسلمين. والموعظة إذكاء للهمم، وتوجيه نحو السلوك الإيماني الحكيم.

فإذا تحولت الموعظة إلى تنويم للهمم، وتبرير للأمر الواقع، فقد نضبت شعبة مهمة من شعب الإيمان. وهذا ما نراه في المساجد على عهد الفتنة، حيث تتحول الموعظة إلى مجالس للخلاف وتكفير المسلمين، أو إلى مهرجانات لمدح الحكام وتصويب أعمالهم.

على جند الله قبل القومة وأثناء الزحف أن يستشعروا خوف الله، ويلبسوا لباس التقوى، لتكون موعظتهم بعد قيام الدولة الإسلامية موعظة مؤثرة يتوجه بها رجال الدعوة، لينوروا النفوس والعقول، إلى جانب رجال الدولة القائمين بوازع السلطان على إعادة ترتيب شؤوننا التي خربتها ذمم لا ترقب في المسلمين وجه الله، ولا تأتمر بأمره ولا ترعى حرمه.

الخصلة السادسة: العمل

العمل تربية

من الفتنة إلى الإيمان

كما أن التعلم لا يتم إلا بوجود معلم عالم وطالب لديه قابلية للتعلم من حيث الاستعداد العقلي والنفسي، فكذلك الجهاد لبناء الأمة على أسس إسلامية لا يتم إلا بوجود مجاهدين لديهم الكفاءة العملية الجهادية من حيث التربية والتنظيم،

مع وجود قابلية في الشعب لقبول النظام الإسلامي في السياسة والاقتصاد والاجتماع.

نرىٰ كيف بعث الله عز وجل في هذه الأجيال الصاعدة حب الله ورسوله، والشوق إلىٰ الإسلام وحياة الإسلام، استجابة للدعاة. ونرىٰ أن الله عز وجل يثبط جهود حكام الفتنة وسدنتها فيفشلون علىٰ كل الواجهات. ونرىٰ كيف تلتقي الدعوة الإسلامية المجسدة في هذا الشباب المتوثب للطهارة والجهاد بالسخط الشعبي علىٰ سدنة الفتنة، ومتىٰ بلغت الصحوة الإسلامية درجة اليقظة والتجند الواسع، وبلغت السخطة الشعبية عرامتها، فقد توفر الشرطان الضروريان للقومة الإسلامية.

مهمتنا في انتظار نضج العامل الذاتي (أقصد رشاد وقوة جند الله المنظم) واكتمال الاستعداد لقبول الحل الإسلامي لدىٰ الأمة أن نربي الجيل القادر علىٰ تغيير المنكر، وندخل ميدان العمل لنجلي للناس بمواقفنا الواضحة، وخطتنا للعمل، ومثال سلوكنا، ماذا تعني الحياة الإسلامية بالنسبة لمستقبل الأمة ومستقبل كل فرد وكل فئة.

في الميدان أحزاب سياسية تتصارع، ومصالح يتنازع عليها، وسلطان جبري يحاول الحفاظ علىٰ توازنه وتوازن هذه القوىٰ الاجتماعية والسياسية المستعدة لتبني شعارات الإسلام لتضرب جند الله.

فنحن أثناء العمل الميداني اليومي في خضم من الأحداث، نقاوم الاضطهاد، ونتخفىٰ، ويسعىٰ الغرباء للقاء الغرباء وجمع الصف. هذه المقاومة والمصانعة مفروضان علينا لأن الجهاد لا يكون في فراغ، إنما يكون ضد واقع مرفوض، ومع عناصر من جنسنا، علينا أن نلتقطها من بين أنياب الفتنة، وفي ظروف متموجة تمتزج فيها عوامل الضغط علينا والمحاربة لنا من داخل وخارج.

الركب يتحرك إلىٰ خير إن شاء الله. لكن العمل الميداني إن لم يدخل في

خطة محكمة لها وجهة مدروسة، وغاية معروفة، وأهداف مرحلية، وقسمة للمهام بين فئات جند الله، لن يؤدي لتأليف قوة التغيير المرجوة وإن انتهى إلى تكوين تكتل ذي حجم.

أعداؤنا وخصومنا -خاصة أصحاب الإديولوجيات- يتحدثون عن تكتيك واستراتيجية. وهي ألفاظ حربية. فهي حرب في نظرهم وعملهم، لها قواعد بواسطتها يميزون بين العمل الميداني الآني (التكتيك) وبين العمل المستمر الهادف (الاستراتيجية). وهو عندنا جهاد له قواعده المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله، نحن مسؤولون أن نطبقها على أرض واقع ليس في قبضتنا، بل هو في قبضة غيرنا ممن لهم نيات غير نياتنا وخطط.

القاعدة الجامعة في عملنا أن يكون صالحا يرضاه الله سبحانه. وليكون كذلك أن يكون عملنا تحقيقا لإيماننا. ففي القرآن خطاب لنا نحن جند الله بيا أيها الذين آمنوا. فإذا ورد ذكر جند الله (وهم الذين آمنوا) في معرض المدح والتزكية والتبشير اقترن اسمهم بوصف صلاح الأعمال فقال القرآن: ﴿**الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ**﴾.

يتربى الذين آمنوا على الإيمان، ويدخلون في الولاية الإيمانية، فيستحقون أن يخاطبوا بالقرآن. حتى إذا فعلوا ما أمروا به على وجه الصلاح والصواب بشروا وزكوا ومدحوا.

في الميدان إقبال شديد على الإسلام من قبل هذه الأجيال الصاعدة العائدة إلى ربها، التي تكون بتكاثرها المبارك إن شاء الله مشكلة للحكام والسياسيين. فبالمؤازرة مع العمل الميداني التربوي نتنظم لنكون القوة الفعالة في التغيير، ولن نكون كذلك إلا إن كانت كل خطوة ميدانية تسير بنا على درب العمل الجهادي الكلي. لن نكون كذلك إلا إن تحولت كل شعبة من شعب الإيمان عملا في سلوكنا أفرادا وجماعة، يكون نموذجا مصغرا لحياة الأمة تحت ظل الإسلام. سلوكنا العملي يقول للناس بلسان الحال ماذا يعني الحل الإسلامي بالنسبة لمستقبل الأمة

ومستقبل كل فرد وفئة. وبلسان المقال والدعوة والإعلام بكل وسائله نقول تصورنا لكل نواحي التغيير الذي نريده. ونهيئ هذا التغيير على مستوى الأرقام والإحصاء، والزمان والمكان، والموارد والإمكانيات استعدادا ليوم القومة وما بعدها، استعدادا لجهاد البناء.

يجب على الذين آمنوا أن يعملوا الصالحات الكفيلة بفلاحهم فرادى في الأخرى، وفلاح الأمة في مصيرها التاريخي.

أجيال مفتونة فاتنة لا تزال تمسك بسيف القمع وتبذر وتفسد. والله لا يصلح عمل المفسدين. وقد بدأت تتحلل قواعدهم وتتخلخل، ويفقدون توازنهم الفكري ومواقفهم. لا أدل على ذلك من تسارعهم لرفع الشعارات الإسلامية ليموهوا بها. وجند الله يزحف. فعليه أن يحتل المواقع الميدانية بربح الرجال إلى صفه وبالتغلغل في الشعب. لكن عليه أيضا أن يوضح للناس أبعاد التغيير الإسلامي. يجب أن يتوحد تصورنا للعمل الصالح الذي أمرنا به في شموليته، فنقدم للناس عنه صورة ونخطط له. وإنما يكون جندا منتصرا جند له قيادة تعرف السير وبواعثه، والطريق ومداها وهدفها، ومراحلها وأخطارها.

*** القدرة على إنجاز المهمات**

الخطأ في العلم خطير على نتائج العمل.

والعمل بلا علم تخبط وجنون.

والعمل في الغموض اضطراب لا يسير إلى غاية صالحة.

من الناس من يفضل أن يعلم ماذا سيعمل قبل أن يبدأ في العمل. ومنهم من يكتفي بالظن فيبني عليه بناء لا يلبث أن ينهار.

ومن الناس من يسطر الخطة لينجزها، بينما تجد من يعد إنجازا مجموعة من الأعمال المبعثرة، بحسب أن حجمها وما تحدثه من ضوضاء هو العمل. وتجد آخرين يحسبون أن العلم المرقوم على الأوراق كاف لتنتقل تلك المبادئ النيرة إلى واقع ينزل من السماء ويتلقاه الناس بتلهف.

إنما –وهي حرف حصر– يكون عملا صالحا ما كان على الصراط المستقيم. والصراط المستقيم في كتاب الله تعالى مسطور، وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم متمثل. كله صدق عازم، وجهد شاق، وبذل للمال والنفس في سبيل الله.

من الضروريات معرفة ما أمرنا الله به، ومعرفة كيف أنجز رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه ما أمروا به، ومعرفة طبيعة زماننا ومكاننا، وتكتلات أعدائنا، وأسلحتهم، وأحلافهم، وتحركاتهم، ومعرفة ما لدينا من قوة رجال وقوة وسائل، ومعرفة الفرص المتاحة لنا، وبركة الساعة وهي فضل الله بهذه اليقظة في مطلع هذا القرن. وبعد المعرفة الإنجاز.

ما كان محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه رجال تأمل بل كانوا رجال عمل صالح. في عشر سنوات غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعا وعشرين غزوة. وبعث من السرايا ما يبلغ مع غزواته الأربعين أو الخمسين على خلاف في كل ذلك. عمل دائب، جهاد مستمر. جند الله يؤمر ويأتمر، يقتل ويقتل، يرحل أكثر مما يستقر، يبذل أكثر مما يغنم.

أمام جهادنا صعوبات تتمثل عقبات في الذهنيات، وعقبات في العادات، وعقبات في الأنانيات، الفردية منها والفئوية، السياسية منها والاجتماعية والاقتصادية.

والقدرة على إنجاز مهماتنا التاريخية تريد منا :

1. **الوضوح في كل الخطوات**: فلا نعمل في إطار مغلق على أنفسنا مهما كانت دواعي التستر. ولا نعمل في إطار مغلق عن الشعب، فإن الدعاية الداخلية والخارجية ضدنا تلفق علينا الأباطيل. يجب أن نعرف أننا مع الله ورسوله وبالتالي مع المستضعفين، نريد عدلا للناس كافة، وتقسيم أرزاق، وتقسيم أموال، بعد إنتاج أرزاق وأموال.

2. **الإحسان**: أي الدقة والإتقان فيما ننجزه من عمل. الدقة في أوصافه الإحسانية من حيث الإيمان. ومعيار هذا موافقته لأمر الله ورسوله. ثم الدقة في مواصفاته العملية ليكون ملائما للهدف المرجو منه دنيا وآخرة. يحب الله الإحسان، الإحسان بمعيار الصواب الديني ومعيار الصلاحية التقنية. فإن اكتفينا بصلاح النيات ولم نعط لأعمالنا ما يؤهلها لسد ثغرات العجز التكنولوجي، والإداري، والتنظيمي، والسياسي، والاقتصادي، فيليق بنا أن ننزوي في ركن هادئ من أركان التاريخ. ولئن كان الانزواء ممكنا في حق الأفراد، فإن الأمة تحت شقي الرحى، فإما تحيى بعز الإسلام وإما يدكها العدو دكا لا سمح الله ! وعلى إحسان المؤمن العامل الصالحات لكل مهماته، وإحسان جند الله في كل الميادين، يتوقف مصير الأمة هنا ومصير المؤمن والمؤمنة عند الله.

فعلى الإحسان نربي أجيالنا، وعليه ننظم صفوفنا.

3. **المسؤولية**: غيرنا يعتمد على الكذب على الله والناس، يكذب على الشعب يقدم له الوعود الخلابة، ويكذب لا يصدق في إنجاز ما تكفل به إن كان رئيسا، أو ما أمر به إن كان مرؤوسا. ونحن مسؤولون أمام الله عز وجل، نعرف ذلك ونؤمن به ونعمل على ضوئه. إن كان غيرنا ينفعل مع الأحداث، فيكون تصرفه رد فعل زمني، فنحن مسؤولون أن نصمد إلى الهدف الذي من أجل تحقيقه نتحرك. لكي يصبح مشروعنا في التغيير عملا ناجحا يجب أن نصارح الشعب بحقائق الظلم الطبقي، وحقائق التخلف الحضاري والاقتصادي، وحقائق التبعية لشرق الجاهلية وغربها. ثم لا يكفي أن نفضح المسؤولين عن الفتنة ونشير بأصابع الاتهام لماضي الفساد وحاضره. بل علينا أن نصارح أنفسنا ونصارح الشعب بالثمن الواجب دفعه لإصلاح ما أفسدوه. فإنه إن هونا على الشعب ما ينتظره من صبر وبذل (تضحيات)، ووقفنا بلوائح وعودنا إلى جانب عارضي الزور من الأحزاب السياسية، نكون تجار كلام.

إنما يكون تصرفنا تصرفا مسؤولا إن فضلنا الصدق على الكذب،

والوضوح على الغموض، والتخطيط على الارتجال، وقلنا لأنفسنا وللناس أن بناء الإسلام جزاؤه الجنة بعد الموت، وأن جهاد بناء الإسلام لا بد فيه من عدل في قسمة التضحيات إلى جانب العدل في قسمة الأرزاق.

قالت الأحزاب السياسية وتقول للشعب: تريد ثراء ورفاهية؟ تعال صوت واهتف بمجدي أعطك!

نحن نقول للأمة: تريدين يا أمة رسول الله عز الدنيا وكرامة الآخرة؟ هلمي الأموال والأنفس في سبيل الله!

إنما تعفنت أوضاع الفتنة، وتتعفن إلى أن تنهار، لأن سدنتها يعملون لاكتساب الأمجاد الشخصية والثروات والجاه والمتاع. عباد الله غافلون أو ملحدون لا يرجون لقاء الله. همم خسيسة تراقب الناس وتكذب على الناس.

ونحن يطلب إلينا إيماننا أن نتعامل مع الله، وأن نحاسب أنفسنا أمام الله. ومتى أسندنا ظهرنا إليه، وهو العزيز الحكيم، فهو معنا بلطفه وتأييده، وجلائل الأعمال التي تنتظرنا تهون. ولن نخشى باتخاذنا الموقف المسؤول أمام الشعب من إغلاق أبواب العمل أمامنا. فإن في هذه الأمة المباركة من كنوز الشهامة والرجولة والقدرة على البذل في سبيل الله ما نرجو أن يحقق الله به رجاءنا.

العمل تنظيما

*** الطاقات المهدرة:**

يجب ألا يتحرك الركب في ميدان العمل قبل أن يتأكد من أن المنهاج محكم، وأنه لا خلل يخاف في الصف نتيجة لنقص في التربية، أو لتفكك في التنظيم، أو لغموض في الرؤية، أو لعجز عن الإنجاز والإتقان وتحمل المسؤولية.

تكون كارثة لا قدر الله إن تجمع المؤمنون ردا لفعل هذا الواقع المرفوض، ولم يكن لهم مشروع من ذات إيمانهم وشريعة ربهم. يمكن تصحيح الأخطاء العرضية التي لا يخلو منها عمل البشر إن كانت الأصول محفوظة، والمنهاج نبويا، دون أن تكون الكبوة سقطة نهائية. لكن إن بنينا على قواعد هشة من الحماس والغضب ضد الظلم المجردين عن الحافز الإيماني الذاتي فالجهود تذهب هدرا، ويطول بعدها شقاء الأمة بسوء تدبيرنا، تجتر مرارة خيبة أملها المعقود على الإسلام.

في الأمة كنوز من الرجولة والاستعداد للبذل في سبيل الله. طاقات علينا أن نتعلم كيف نعبئها للعمل الدائب الصابر من وراء الحماس والهيجان. خصومنا وأعداؤنا يعتمدون على التهييج والتزييف، وقد انكشف كذبهم، وسبيلنا لاكتساب الأنصار وبناء القوة الفاعلة ينبغي أن يكون عكس أساليبهم، فنخبر الواردين أن الذي ننتظره منهم عمل إرادي ينصب في اتجاه تاريخنا الإسلامي الجهادي.

الخطأ في التصور المنهاجي للعمل الإسلامي يوقف تحركنا في أول منعرج تمحص فيه قدرتنا على الرؤية الواضحة لاتخاذ القرار المناسب في الوقت المناسب، وبالشكل المناسب. والخطأ في تعميق الرابطة الإيمانية بين جند الله، وفي شحذ الإرادات بالشورى والمسؤولية وطاعة التنفيذ، يعرض عملنا للفشل عند أول مهمة تريد رجولة الموقف بدل الخطب الحماسية، والخبرة التقنية والإدارية بدل العواطف المجنحة، والتعاون المنظم المنسق المضبوط بدل القفزات العشوائية والمبادرات الفردية.

تضيع جهودنا لكل خطإ أساسي في النظرة، وتقويم الماضي والحاضر والمستقبل، ومهماتنا، ومراحل إنجازها، وظروف تطورها، كما تضيع لكل خطإ أساسي في إعداد القوة التربوية والتنظيمية والتنفيذية.

الأعمال عند الله عز وجل بالنيات، يثيب في الآخرة من حسنت نيته مهما كان خطؤه. لكنه عز وجل سن ناموسا في هذه الدنيا يقضي أن من لم يتخذ أسباب القوة يصرع في الحلبة مهما كانت نيته.

الأمة تنتظر ما يأتيها من خير عن طريق الإسلام بعد أن جربت أساليب التغريب، والظلم الطبقي، والهزائم العسكرية، والتبعية للجاهلية. فيجب أن نرسم للأمة خطا عاليا للجهاد، بحافز عال وعلم ناصع لما ينتظرنا من جهاد.

العمال تحت الفتنة ينتظرون أن يوفر الإسلام لهم أجورا عالية، وأثمان ثابتة، وشروطا للعمل رفيقة.

العاطلون تحت الفتنة يريدون من الإسلام عملا. الجائعون يريدون خبزا. المحرومون يريدون إنصافا. الشباب يريدون تعليما ومستقبلا. الضاحون (وهم من لا سكن لهم) يريدون بيوتا. الفلاحون يريدون أرضا. الكل يطالب.

على جند الله يوم يصلون إلى الحكم أن يعيدوا بناء الهياكل السياسية والاجتماعية والاقتصادية ليتأتى لهم حل المشاكل الضخمة المتخلفة عن قرون الفتنة، وسنوات الاستعمار، وسنوات الاستقلال الصوري، وهو أشد علينا من استعمار العدو المكشوف المعروف بالأمس. في العالم أزمة عامة، وشره من جانب الجاهلية، وتكالب على الإسلام.

ولن يستطيع جند الله القيام بتلك المهام إلا بنصر الله وتأييده. ومن تأييده أن نفهم الأمة، قبل دخولنا معركة البناء، أن ماضي الفتنة وحاضرها، وأزمة العالم، وما في طريقنا من عقبات، لا يمكن تغييرها والتغلب عليها بعقلية المطالبة، عقلية الذي يبقى في الظل ويعيب على من يلهث ويلفظ أنفاسه تعبا تحت الوهج. من تأييد الله أن تفهم الأمة أن الإسلام جهاد عام وتعبئة لكل الطاقات، وبعد الفهم تنزل الأمة لميدان العمل، مشمرة عن سواعد التطوع، بنية التقرب إلى الله، وبقيادة وتنظيم رجال يعيشون مع الأمة، وسطها ومن أجلها.

إذا فهمت الأمة واجبها، وقبلت الاضطلاع به، ووجدت قيادة منها لإنجازه، فسيكون الشباب أنفسهم هم الحل لأزمة تكاثر السكان، وتفشي

الجهل، ونقص المتطوعين. الشباب المؤمن هم الحل لأزمة الشباب إن أصبح كل منهم يحمل بدل أن يبقى محمولا. العمال المؤمنون عندما يدفعهم الإيمان للإنتاج والإتقان والإخلاص هم القوة التي ستنتصف بحماية الشرع من استغلال رب العمل. الفلاحون المحرومون والعاطلون سيجدون في الحل الإسلامي واجب كل مسلم أن ينتج لينفع نفسه وأمته، ومع ذلك الواجب حق كل فلاح في الأرض التي يحييها، وحق كل عامل في حظه الوافي من نتاج عمله.

تغيير الهياكل إن لم يصحبه تغيير الإنسان ويسايره تضييع للجهد في دوامة التجارب الفاشلة.

ما عندنا من موارد طبيعية، وقدرات تقنية، ليس إلا طاقات ميتة، وستبقى ميتة إن لم نعد تربية وتوجيه وإحياء الطاقات الأخلاقية الإيمانية عند الرجال والنساء، وإن لم نعد تجميع وتنظيم القوى الاجتماعية التي شلها الظلم، وغنطستها الثقافة والحضارة الجاهليتان، وبددها سوء الإدارة وفسادها، وطغت عليها الأنانيات الطبقية والفردية، حتى أصبحنا أمة كالغثاء، مبعثرة لا تتماسك أمام رياح التاريخ العاتية.

*** ما العمل؟**

إن مهندسا وبناء يحدثان نفسيهما بعمل جليل ولا يطرحان على نفسيهما هذا السؤال قبل أن يجدا نفسيهما أمام المادة المبعثرة، والأرض الملغومة، والسيول الجارفة، لرجلان أحمقان.

في زحفنا إلى النصر إن شاء الله، وقبل أن تفجأنا الأحداث مثلما فجأت العالم بقومة إخوتنا بإيران، نشرع في جهاد البناء من داخل الصف على الخطوط التالية :

1. إعادة الثقة لنفس الأمة:

موضوع التغيير، وهو جسم الأمة كلها وجسوم الشعوب القطرية، نطلق

عليه اسم فتنة وهو اسم عام. علينا أن نحصي ونضبط المعلومات والأرقام، وتطور الأحداث والعلاقات.

هذا يساعدنا على فهم الواقع، وفهم الواقع يمكننا من تخطيط المستقبل، ووضع خطة التغيير، وهذان إن وضحناهما لأنفسنا وللأمة ورسمنا لها ولأنفسنا خطوات العمل يساعداننا على أن نثق بأنفسنا، وتثق الأمة بكفاءتنا، لتحمل المسؤولية.

معرفة موضوع التغيير، وحجمه، وكمه، وكيفه، وتطوره، وقوى الصراع فيه ومن حوله، مقدمة وباب ليدخل جند الله بإرادته الإيمانية على المستقبل من باب العلم. وحول هذا الداخل بثبات من يعرف مواقع خطاه، وهو مستعد لبذل النفس والمال والجهد، تلتف الأمة وتستعيد ثقتها في القيادة وفي نفسها.

هذا الشرط النفسي ضروري. وبدونه تكون محاولة بطح الواقع على مشرحة تغيير الهياكل صناعة في حرفة تحنيط الجثث.

شعب يتفرج على حكام يمارسون بهلوانية الغوغائية، والدوران على محطات التهريج، شعب مقهور شامت متربص.

نريد أن يكون الشعب معنا يشارك، يناقش، ينتقد، يتعلم، يعلم، يجاهد إلى جانبنا. ولا يفعل ذلك إلا إذا وثق بأننا منه ومع المستضعفين بلا قيد ولا شرط.

2. الصرامة والمستقبل:

لا يكفي أن نعلم الأمة، قبل الحكم الإسلامي وأثناءه، أن ما بها من ويلات ليس الإسلام مسؤولا عنه، إنما يسأل عنه من عطلوا حكم الله ولعبوا بشعارات الإسلام. تأمل الأمة فينا أن نبذل بؤسها رخاء، والظلم الذي يمارس عليها عدلا، والذلة المضروبة عليها بهزيمة المغربين أمام النموذج الجاهلي وهزيمة غيرهم بالهروب من ساحة الجهاد عزا. تأمل ذلك وأكثر، فلا ينبغي أن نصور الطريق سهلا ناعما، ولا أن نبرر صعوبات الطريق بطرح

المسؤولية على من قبلنا. إنما ينبغي أن نضرب المثل بالتشمير، يواجه الشعب معنا صرامة شروط المستقبل التي تتراءى مكفهرة في أفق الأزمة العالمية العامة، وأفق تدهور اقتصاد عالم المستضعفين، وأفق التضخم السكاني والنقدي، وأفق التبعية الغذائية، وأفق الصراع بين القوى الجاهلية على مواردنا الطبيعية ومواقعنا الاستراتيجية، وأفق تطاول الرأسمالية العالمية أكثر من أي وقت مضى، وأفق السباق إلى التسلح، وأفق لعبة استقطاب أنظمة الحكم المتخلفة، وإفقادها توازنها واستقرارها.

أمل الأمة مطالبة فسيحة على قدر ما هي فيه من ضيق. فلا يكاد الشعب يرى وقد اعتاد الوعود الكاذبة، فيما يمكن أن يعترض المؤمنين من صعوبات غداة الإسلام إلا نوعا مما ألفه من حكام الجبر. لذلك نتعلم نحن ونعلم الشعب الحدود بين ما ينبغي وما يمكن، بين ما تصبو إليه العواطف وما تتيحه الوسائل المتوفرة.

إذا وضعنا أنفسنا مع الشعب، فسيضع الشعب نفسه وطاقاته معنا. إن كانت في قلب الشعب نواة صالحة فسيلتف حولها الشعب ويتعبأ. وإن كان النداء إسلاميا، والسلوك في الطبيعة سلوكا إيمانيا، فسترى إن شاء الله الشعب بما فيه من مهاجرين ذوي السابقة، وأنصار ذوي الغناء، ومؤمنين ذوي الحظ من الله، وأعراب سمعوا النداء، فانعطفوا إليه، فتحمسوا، فتبعوا الصف على مثال ما ذكر الله في سورة التوبة. قال عز من قائل: ﴿**مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَطَؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ التوبة، 120-121.

بهذه الذهنية ذهنية الواجب، وهذه الإرادة إرادة الجهاد، يسأل جند الله أنفسهم ماذا قدمنا من خدمة، ماذا صبرنا، ماذا ظمئنا ليروى الناس، وماذا جعنا ليشبع الناس، وماذا نصبنا ليرتاح الناس، وماذا أرغمنا أنف الأعداء،

ليأمن الناس، وماذا أنفقنا ليستكفي الناس، وماذا قطعنا من أودية الفتنة عبورا للمجتمع الإسلامي والخلافة الإسلامية؟

عندما يكون سلوكنا هكذا، ونتصدر الأمة، ونحمل همها، ستتبعنا الأمة. وإن لا فلا.

3. صفحة تطوى:

من هذه العبارات المجازية ما هو من قبيل السحر والكذب. يقولون: «طوينا الماضي» وكأنه صفحة بين أصبعين. فإذا كان وهم العامة وحماس الجماهير ينفتحان ليندس منهما وإليهما كذب الوعود الخلابة بعد كل انقلاب و«ثورة» و«تصحيح» في بلادنا البائسة المضطربة، فإن القومة الإسلامية يجب أن تقدم للعامة وللجماهير، وتترسخ في عقولنا، على أنها فاتحة عهد طويل من البذل (التضحيات) والعمل الدائب.

من ماضينا الفتنوي مخلفات ثقال، جروح مثخنة في نفوس الأمة وعقولها وأحوالها. وفي حاضرنا الجبري تعتيم بالحفلات والمؤتمرات المسماة إسلامية على بؤسنا، وتخلفنا، وقزامتنا، وأمراضنا، وهزائمنا. وفاضلو الأمة منهم محوقلون عاجزون، وآخرون يتسلون بتقديم مساعدات من فضول وقتهم ومالهم، يوهمون ضمائرهم بذلك أنهم أدوا حق الله عليهم. واقع يجب تغييره يوم تنتقل الدعوة من كونها رفضا للفتنة والجبر والجاهلية إلى قضية إيجابية لا نفر من البذل من أجل إنجاحها، ولا من الموت في سبيل تحقيقها.

تغيير الفتنة بالإسلام حكما، وتنظيم مجتمع، واقتصاد، ووحدة، وقوة، مهمة كبيرة. والله أكبر نداء الجهاد هو مفتاح الموقف. إن كان الله معنا فسنكون أكبر من تلك المهمة. فهو وحده عز وجل قادر أن يطوي حوبتنا وآلامنا، إنه يطوي السماء كطي السجل للكتاب سبحانه.

يكون الله معنا إن أطعناه، ويكون نداء الجهاد عنوان حق وشعار صدق إن قاتلنا -وأقصد الجهاد بكل أبعاده وصوره بما فيه المقاتلة بالسلاح

إن جهر العدو بكفره وقاتلناه بالسلاح- في سبيله مع المستضعفين كما أمرنا. قال جل ذكره: ﴿**وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَـذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيراً**﴾ النساء، 75.

استعادة الثقة إلى نفوس الشعب بنا، ومعايشته ومقاسمته همومه وآلامه، خطوتان لتعبئة الشعب حولنا، وحشده لتبني قضيتنا. ثم استثمار كل هذا للعملية الأساسية في البناء، ألا وهي تربية الشعب حتى يعنى بشأنه، حتى يرشد، حتى يتأهل لمسك زمام أمره والمشاركة إلى جنبنا في الجهاد.

مهمة تغيير ما بنا لا حل لها إن لم نغير ما بأنفسنا. قال الله تعالى: « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم»، فكما خذلنا حين تنكبنا شريعته ينصرنا إن رجعنا إليه. والرجوع إلى الله إنما يكون عن دعوة داع وتربية مرب. وإرجاع الأمة بكاملها إلى الله تعالى قضيتنا. فقبل أن نصل إلى الحكم تبذل الدعوة جهدها لتغيير وجهة سفينتنا الموحولة في المياه الفتنوية العكرة. وعندما يلتقي وازع القرآن بوازع السلطان يتاح للأمة أن تعيد ترتيب السفينة وأجهزتها من داخل، وأن توجهها الاتجاه الصحيح وأن ترحض المياه العكرة، وتنزح الأوحال.

السفينة من داخلها خراب: خراب ضمائر، أجهزة مرصودة لخدمة مصالح المستكبرين الذين احتوشوا المال، وتسلطوا على الحكم، وانتهكوا الأعراض، وأباحوا ما حرم الله، ومالؤوا أعداء الإسلام على الأمة، وتفاوضوا معه لبيع حرية الأمة وخيراتها وأرضها وكرامتها.

الوجهة يجب أن تقلب رأسا على عقب: من محالفة الجاهلية والإعجاب بها وتقليدها والتذلل لها إلى الله ورسوله والمؤمنين. من ماركس وروسيا، من الليبرالية وأمريكا، إلى الله ورسوله والمؤمنين. من ولاية الطاغوت إلى ولاية الله ورسوله والمؤمنين.

أوحال الفتنة المتراكمة في طريقنا، والمترسبة في نفوسنا، خلفها فينا ومن

حولنا قرون تعود الشعب فيها أن يعتبر نفسه رعية كالغنم يجز صوفها، يظلم ويهان، يسخر، يسكت، يتجرع المرارة بابتسام، يركع أمام الطاغوت، لا ينبس بكلمة أمام المستكبرين، لا يأمن على حياتها، يجهل ولا يعلم، يفتقر ولا يواسى، يمرض ولا يعالج.

في رفق الإسلام سعة، وفي باب التوبة انفتاح ليرجع أعداء الشعب المسؤولون أمس الفتنة عن توحيل الشعب وظلمه إلى الله في غد الإسلام. جسم الأمة مريض، لكن آثرنا أن نعبر إلى ما نريد بقصة سفينة يعاد ترتيبها، وتصحح وجهتها، وترحض مياهها، لكي لا نتحدث عن العملية الجراحية، وعن العنف الذي لا تنفك عنه ثورة الثائرين، وتريد قومتنا أن تتجنبه.

استعادة الثقة، والنزول إلى الشعب، وتربية الشعب. مع المستضعفين قتالا في سبيل الله نريد بناء الدولة الإسلامية، والخلافة الموحدة، والمجتمع الإسلامي، والحضارة الأخوية اللائقة بخير أمة أخرجت للناس.

أمر ضخم، مشروع كبير. **والله أكبر!**

نعمل نحن المؤمنين، أمرنا شورى بيننا!

نعمل في طاعة الله ورسوله، وهذا يقضي أن يكون لنا أولو أمر منا نطيعهم ونعصي من عصى الله ورسوله.

على هذا الفهم، وبهذه النية، ولهذا المشروع، نربي أنفسنا، ونربي الشعب. ننظم أنفسنا ونعبئ الشعب حتى يعنى الشعب بمشاكله الجزئية على كل المستويات، وحتى يشارك في الجهاد العام.

بدل أن يسير المؤمنون بعد القومة على خطى من سبق بفتنة، لا نكل إلى الأجهزة الإدارية الصماء التي عششت فيها عادات المحسوبية، والرشوة، وبيع الخدمات، واحتقار المسلمين، مهمة بناء الأمة قبل أن نغير هياكل الإدارة ومنهاجها ومن أبى الصلاح من رجالها.

في كل قرية ومجلس بلدي ومدينة وجهة وإقليم، ننادي المؤمنين

رجال الدعوة والدولة ومعهم الشعب الواثق الباذل المعبأ، ليتخذوا المبادرات، وينفذوا، ويراقبوا.

لا نجعلها ديمقراطية «إسلامية»، ولا اشتراكية «إسلامية»، ولا ما شابه هذا الخلط. ولا نقلد، بل نخترع لزماننا، وبوسائلنا، ولغايتنا وأهدافنا، الصورة المناسبة لنظام الحكم الإسلامي الخالد.

لا نجعلها رأسمالية نلبسها اسما إسلاميا، ولا نغتر بأن التأميم العام والبيروقراطية هي الحل. بل نبحث في سعة إسلامنا الصيغة الكفيلة بإنشاء اقتصاد نتحكم فيه، ونسخره لإقامة التكافل الأخوي بيننا، والكفاية، والأمن، والقوة. هذه أهداف واجبة، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، بما في ذلك نزع ملكية الأثرين، بعد إعادة مظالم الفتنة برد الحقوق إلى أهلها.

لا نجعله تعليما لخدمة الفئة المترفة وتخدير الشعب بتعليم صوري وإعلام مسل مفسد، بل نقيم القرآن في قلوبنا وضمائرنا نورا يبدد حلك الفتنة. وإنها لساحة وحلة قاتمة ساحة التعليم التي احتلتها جيوش المرتزقة من دعاة الإلحاد والفكر الجاهلي!

وكم من ساحة غيرها تنتظر المكنسة الإسلامية!

ولن يأتي الحكم بما أنزل الله مع طلوع الفجر يوم القومة الإسلامية! يمضي زمان للكنس، واستصلاح العناصر التائبة، ومواجهة اضطرابات لا بد منها عند كل تحول. ثم زمان لصياغة منهاج للحكم والبناء الإسلاميين، بالجدية والصرامة الأخلاقية والفكرية اللازمين. ثم ترجمة الإرادة الإسلامية إلى مشروعات مخططة متناسقة. ثم تدوين وتقنين الأحكام الشرعية الكفيلة بتحقيق مقاصد تلك المشروعات. ثم النزول من القرار السياسي والاجتهاد والتنظيم التقنيين إلى توزيع المهام على الإدارة وأهل الخبرة التكنولوجية في ميادين التنفيذ.

وكل هذا لا يمكن وضعه وإحياؤه ولو كنا في ذرى الإيمان والقدرة على الإنجاز، بين عشية وضحاها. لا سيما والأرض محتلة بما سبق، لا سيما والعملية

الجراحية التي تبتر من جسم الأمة بقتل الرجال حسا أو معنى لا تناسب الإسلام. لا سيما وإعادة تركيب الهياكل مع تعقيد العصر تطلب زمانا، والمؤمنون يومئذ في ضغط المشاكل اليومية، تطلب رجالا، وأين الكفاءات والرجال؟ لا سيما والحرب على الإسلام قائمة من خارج، والدس عليه لن يفتر من داخل. لا سيما والضغط السكاني يتزايد. لا سيما والعصر عصر سرعة وتحول وأزمات. والله أكبر!

الإصرار على السير لن يعوزنا إن شاء الله فزودنا التقوى: ﴿**وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى**﴾ البقرة، 197.

والصبر على الجهاد لن يعوزنا إن شاء الله فألهمناه: ﴿**وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ**﴾ آل عمران120.

الله أكبر! و﴿**إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءاً فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ**﴾ الرعد11. شاهت الوجوه! وانكسرت التضامنات ضد الإسلام! ومضى عهد الجبر إن شاء الله! وتطوى الصفحة بإذن الله.

شعب الخصلة

*** الشعبة السابعة والأربعون : التكسب**

مما نرثه عن الفتنة، وهو من أشد الأوبئة الاجتماعية فتكا، أنفة الناس عن الأعمال اليدوية والكسب الكاد. وبناء الإسلام يريد قلوبا حية بالإيمان، وعقولا راسخة في العلم، وسواعد خبيرة صانعة. يخلف لنا الماضي الفتنوي شخصيات مزيفة، أنتجها الترف الطبقي، والتعليم النظري المستعلي على المهمات المباشرة العملية.

فتحت ظل الإسلام يكرم العامل، وتكرم الأطر المسماة وسطى، وتشجع المهارات المهنية واليدوية.

نقابات العمال والحرفيين والفلاحين والشغالين ينبغي أن يدخلها الإسلام. أعني إسلام الأخوة ونبذ الطبقية، والوقوف مع المستضعفين،

وإنصافهم من الأغنياء. فما يريد الله عز وجل أن يكون المال دولة بين الأغنياء، لاسيما إذا كان الأغنياء كسالى لا يحسنون استثمار أموالهم فيما ينفع الأمة.

يجب أن يتحول هذا الحديث النبوي إلى وسام يعلق على صدر العاملين والمحترفين، ليصبح الفلاحون والشغالون في طليعة المكرمين تحت دولة الإسلام. تكريما تشريفيا وإنصافيا. نقسم لهم من الرزق على قدر جلالة هذا الوسام. روى الطبراني والبيهقي عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إن الله يحب العبد المحترف**». هذا يعطيهم في أعيننا الصدارة، لا نقلد اليساريين. هذا يعطي الصدارة في مجتمعنا للمسلم المحترف، إن كان عبدا لله، مؤمنا به سائرا مع ركب المؤمنين، لا كل كادح مكابد.

العمال تحت الإسلام -وكل مجاهد في خير الأمة عامل- جنبا إلى جنب مع التاجر المبرور. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيما رواه الإمام أحمد والبزار عن رافع بن خديج، وقد سئل: أي الكسب أطيب؟ قال: «**عمل الرجل بيده، وكل بيع مبرور**».

لا يكون في الإسلام طبقة ضد طبقة، أقصد إسلام التجديد لا إسلام الفتنة. فرجل الصناعة والتجارة وأصحاب المشاريع بررة إن وفوا بحق الله وأنصفوا العامل والصانع. لا بد للدولة الإسلامية أن تغير الهياكل الموروثة بما يتلاءم مع البر الاجتماعي، وبعد تغيير الهياكل وأثناءه ينبري عامل الدعوة والتربية ليبث في النفوس الإيمان، وفي العزائم الإرادة، لتطبيق لوازم البر كما أمر الله تعالى حيث قال: ﴿**لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَـئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ**﴾ البقرة، 177.

كل طفيلي لا ينفع ماله المسلمين فليس من البر في شيء.

وكل كانز كذلك! وكل مستغن لا يؤتي بعد الصلاة والزكاة ماله إيثارا على نفسه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فليس من البر في شيء. لا سيما والأمة كالأيتام في مأدبة اللئام والفقر فاحش، والحاجة ضاغطة!

لا تعايش تحت الإسلام بين الفقر المدقع والغنى الفاحش. وما تقريب الشقة بالأمر الهين. والله أكبر!

*** الشعبة الثامنة والأربعون : طلب الحلال**

ما كل تكسب يقبله الإسلام. ومعالجة المركب الاقتصادي الاجتماعي، مركب ماضي الاقتصاد التابع، واستغلال المستضعفين، لا يجوز أن تذهب بنا خارج حدود الله، حدود الحلال والحرام.

التحول من النظام الرأسمالي أو الاشتراكي الذي نجده أمامنا إلى النظام الإسلامي يأتي نتيجة لمعاناة طويلة لإخراج اقتصادنا من قبضة رأس المال المحلي والعالمي المبني على الربا وأكل أموال الناس بالباطل.

وسنجد أنفسنا مضطرين اضطرارا حيويا، ما دامت أموال المسلمين في الدول القطرية الغنية في أيدي السفهاء يبذرونها، للاستدانة من الأموال العالمية. كما سنجد أنفسنا في فترة الانتقال مضطرين للتدرج في إحلال المضاربة الإسلامية محل الاقتراض الربوي، والمصرف الإسلامي محل البنك الربوي.

قال الله تعالى: ﴿**وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ**﴾ الأنعام، 119. ففترة الانتقال بمثابة زمن الغبش قبل طلوع الشمس، يختلط فيه الظلام بالضياء، ويختلط فيها حلال نطلبه بحرام نحن مضطرون لأكله كما يأكل الجائع اليائس الميتة ولحم الخنزير.

سنضطر لنتعامل مع الأبناك العالمية وهي في قبضة اليهود. وقد مات النبي صلى عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي في عشرين أو ثلاثين صاعا من

شعير أو طعام كما روىٰ ذلك الإمام أحمد والبخاري وغيرهما.

الأموال في بلادنا المفتونة مرصودة لخدمة المستكبرين وحلفائهم من غيرنا. الإقطاع في البوادي، والاحتكار في المدن. طبقة مستكبرة تكون شبكة مسيطرة علىٰ الاقتصاد والسياسة والإدارة، مستأثرة من دون الشعب بالجاه والسلطان، مسخرة طاقات الدولة لمصالحها ومصالح أبنائها.

هذه الطبقة ستهرب الأموال وتقاوم العدل الإسلامي. فما ظلمته في ماضيها القاتم من حقوق الأمة حرام نستخلصه منها بترغيب الدعوة وسلطان الدولة معا. هذه عقبة مالية كأداء تضاف إلىٰ العقبات النفسية والتقنية والإدارية. فيكون المجموع جبلا من المشاكل لا يمكن نسفه بمجرد إصدار فتوىٰ أن هذا حلال وهذا حرام. لا بد من إرساء قواعد الدولة الإسلامية علىٰ أرض الإرادة الصامدة لجند الله، ثم ننصب آليات التقنين الشرعي، وآليات السلطة الإدارية والاقتصادية الإسلامية، حتىٰ نتمكن إن شاء الله من أمرنا، ونتحرك في وجهة البناء الإسلامي بحركيتنا إلىٰ غايتنا وأهدافنا، بوسائل ملوثة في بدء الطريق، ثم نصفيها ونطهرها إلىٰ أن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.

حكام الباطل ينفقون أموال المسلمين بالباطل، يسرقون ويرتشون، يدفعون للمهرج والمغنية الفاسقين أضعاف ما يعطون للمعلم. مسارح وسينمات لعرض البلاء. ميزانية ضخمة لتلفزيون العهارة. وكل هذا يؤثل ثروات، ويوسع شبكة الفساد، ويخلف في النفوس عادات، وعلىٰ أرض الواقع كتلا بشرية تقاوم الإصلاح، وقوىٰ اقتصادية لها وزن الكابوس علىٰ صدر الشعب. وكل هذا الفساد المجسد المحارب للخير بالظفر والناب يرثه المسلمون غداة القومة.

عاطلون من أين يطعمهم الحكم الإسلامي غداة الإسلام وقد خرب من قبلنا يومئذ اقتصادنا؟ تصنيع وتنمية وإصلاح زراعي ضرورية لنقف علىٰ أرجلنا، فمن أين المال وأنىٰ لنا الصفاء الرقراق في الوسائل، يا من تحلم أن

السماء تمطر ذهبا؟

الحلال في توفية الكيل والميزان، والعصر عصر غش ودعاية وإشهار كاذب. الحلال ألا يكون المال دولة بين الأغنياء وأنظمتنا تحت نير الطاغوت طبقية. الحلال أن تقوم فينا صناعة وتجارة يسهر عليها رجال نشطون صادقون ينصفون شركاءهم وعمالهم، فأين الذمم الصادقة، والخبرات، والقدرة على الإنشاء والتسيير، بينما الحرب الاقتصادية بين الرأسماليين العالميين معلنة، والهجمة الاقتصادية على بلاد المستضعفين ضارية، وعادات الاستهلاك والترف والكسل والمراوغة في العنصر البشري عندنا فاشية.

الغبش بين عهد الحرام الفتنوي والحلال الإسلامي في فترة الانتقال ليس من قبيل منطقة الشبهات التي بين الحلال البين والحرام البين. في حق الفرد يتعين ورع ترك ما يريبه إلى ما لا يريبه، ورع اتقاء الشبهات. لكن اقتصاد أمة آلة تطحن، وعجلات تدور بسرعة، ولا يمكن وقفها لننطلق من الصفر.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً﴾ النساء29.

هذا أمر الله تعالى للمؤمنين، فزمان الفتنة كان تطبيق الأمر متعلقا بذمم الأفراد، بورع الأفراد. أما عند القومة وبعدها، فالمخاطبون هم جند الله المسؤولون عن تسيير السفينة الموحولة من مستنقع الباطل إلى حيث الصفاء والصدق والإخاء. والمخاضة من هناك إلى هنا كدرة. فريق من أموال المسلمين، بل كل أموال المسلمين كانت في أيد حكام يأكلون بالإثم ويسرفون، فما استنقذناه من تلك الأموال واسترجعناه سيبقى زمانا يحمل وصمة ذلك العهد الكريه، ويريح ريحه النتن، قبل أن تزكيه الأيدي المتوضئة. ما يظن الذي ينتظر طي الصفحة بين عشية وضحاها إلا كما يظن المتحدي الساخر الذي ألقى الرجل في النهر وقال له: إياك أن تبتل بالماء!

*** الشعبة التاسعة والأربعون : العدل**

أول السبعة الذين يظلهم الله تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل. وفي حديث لمسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى مسلم، وعفيف متعفف ذو عيال**».

وروى الطبراني بإسناد حسن عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**يوم من إمام عادل أفضل من عبادة ستين سنة، وحد يقام في الأرض بحقه أزكى فيها من مطر أربعين صباحا**».

إذا جاء الحق زهق الباطل، إذا أقيمت حدود الله بحقها، وكان القائمون عليها مقسطين موفقين حلت بركة السماء على المسلمين.

العدل الاجتماعي طلبة كل المستضعفين وطلبتنا. والعدل القضائي شرط فيه مشروط. وما سمي الحكم الجبري جبريا إلا لأنه يحكم بغير ما أنزل الله، فيظلم الظلم الأكبر، وهو الاشتراك مع الله عز وجل في حاكميته. ومن هذا الظلم يتفرع ظلم القضاء، وفساد المحاكم، وتفشي الرشوة، والإدلاء بالأموال في الباطل.

هما عدلان متلازمان: عدل الحكم وعدل القسمة، وفي الشريعة السمحة سعة لإنصاف المستضعفين، وإقامة توازن إسلامي في الاقتصاد إن كان الحاكم مقسطا وموفقا. فجند الله يوم يلون السلطان موفقون إن شاء الله بتأييد من عند مولاهم، وعليهم بذل الجهد ليؤسسوا مراقبة صارمة تمكن من تطبيق حكم الله.

ما نراه في أنظمتنا من ركود وموت اقتصاديين، أو ازدهار مزيف كازدهار خضراء الدمن، وما نراه من ازدياد فقر المستضعفين وازدياد ثراء المترفين، إنما أتى من كون جهاز الحكم في أيديهم والقضاء تحت الفتنة تابع للجبر لا لله، فتعطل مصالح المستضعفين، وتسن قوانين اقتصادية لا ترعى مصلحة البلاد والشعب، ويحكم لمن له مال يرشو به، وجاه ترجى عائدته.

العدل الاجتماعي تحت الإسلام يأتي مع الشريعة الإلهية إن أعيد تركيب أجهزة الدولة، ومنها القضاء والإدارة، بما يتعين من امتحان الرجال ومراقبتهم الصارمة، حتى يتصدر أمور المسلمين مؤمنون يخشون الله ويرجون حظهم في ظل الله وجنته وبركته ولا يرون في المراقبة الصارمة إلا تطبيقا لقوله عز وجل: ﴿وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ التوبة، 105.

العدل الاجتماعي والاقتصادي والقضائي ينافي المحسوبية، ينافي إرضاء الناس بما يسخط الله، ينافي الظلم وهو ظلمات يوم القيامة، ينافي التدخلات لخرق الحقوق وهي شيء آخر غير قضاء الحوائج. العدل أن تكون الإدارة والقضاء في خدمة العجوز المسكينة اليدوية كما يكونان في خدمة المتعلم والغني والحاكم. العدل أن توضع إمكانيات الدولة تحت تصرف الشعب، فتبنى دور بسيطة صحية بدل أن تبنى للمترفين والموظفين القصور. وتحفر آبار لأهل البادية، بدل أن ينفق على شراء أفلام الخلاعة. وتستصلح الأرض للفلاح الصغير بدل أن تغدق القروض والتسهيلات على المالك المستكبر الذي يطرد الفلاحين من أرضهم، يعضده في إثمة ابن عمه الحاكم، وصديقه رئيس مائة شركة. وتبنى مدارس يعلم فيها القرآن والإيمان والخبرة، يسيرها ويدرس فيها حملة رسالة الإيمان والأخوة، لا تلامذة الجاهلية ودعاة الإلحاد والاستكبار على الله ورسوله والمستضعفين.

العدل أن ينصب ميزان القرآن بالقسط، فيوفى المحتاج والفقير حقهما، وتهذب فضول أموال الغني. وعدل الشريعة بعدل القاضي والحاكم، إن كان الحاكم والقاضي أخوين للمسكين والمحتاج لا حليفين للمستكبر والإقطاعي.

*** الشعبة الخمسون : إماطة الأذى عن الطريق**

هذه هي الشعبة الثالثة التي وردت في الحديث النبوي عن شعب الإيمان. تلك الحركة البسيطة التي يقوم بها الفرد حين يسلك الطريق، فيجد

شوكة أو حجرا أو أذىٰ فيزيلها بنية تجنيب المسلمين المارين إذايتها، مما يقرب إلىٰ الله عز وجل. هنا يجل العمل علىٰ بساطته بجلال النية.

عندما تسري في الأمة روح الاهتمام بالمسلمين، فتطرد روح الأنانية، يتوسع مفهوم إماطة الأذىٰ عن الطريق، ليكون منهاج تعاون بين المسلمين، عد الحركات الجزئية الفردية، ومد الإخلاص في النية والجهد.

في مجتمعاتنا الفتنوية، مجتمعات الكراهية، تسود الفردية الأثرة، يسود حساب المصلحة، يسود الرياء، يسود سوء الظن، تسود اللامبالاة. وفي المجتمع الإسلامي الأخوي ينبغي أن تسود أضدادها، يوم تسود الثقة، ويعرف الشعب أن حكامه منه، يحملون همه.

في مجتمع الكراهية يتأفف الموظف أجير الدولة، كما يتأفف العامل، والصانع، والكبير، والصغير، والرجل، والمرأة، الكل يحس أنه وقع عليه الأذىٰ وقل النصير. ظلم أسود يحط علىٰ الناس بكلكله. فمتىٰ جاء العدل بشرائطه نشط المسلمون إن شاء الله، وجاءت رحمة الأخوة الرابطة، وانبرىٰ كل ييسر علىٰ المعسر، ويقضىٰ الحاجة، ويمهد الصعوبات، ويساعد في المهمات، وينحني علىٰ فراش المريض، ويأسو آلام العيش، يصلح ولا يفسد، يهتم بأمر المسلمين اهتمامه بأمره وأكثر، نيته المخلصة ومراقبته لله تمنعانه عن تبذير أموال المسلمين، وتخريب الممتلكات العامة، وخيانة الأمانة. كل ذلك يعلم أن إماطة الأذىٰ عن طريق إخوته صدقة، وأن أجره علىٰ الله، أول ما يأتيه منه هنا عربون علىٰ صورة مجتمع الأخوة، وما عند الله خير وأبقىٰ.

*** الشعبة الحادية والخمسون : التواصي بالحق والصبر**

هل من سبيل إلىٰ فطام الناس عن الباطل وحملهم علىٰ الحق بوازع القرآن وحده؟ وكيف يفطم الناس، ومن يفطمهم بتعاون وازع القرآن والسلطان معا؟

يتيح فشل الحكام الجبريين، وظلمهم، واستياء الأمة المستفحل منهم، فرصة نادرة ليبرز أهل الحق إلىٰ الساحة، فهل يعجز جند الله كما عجز من سبقهم، أم

يثبتون على محك التجربة قدرتهم على إحقاق الحق بعد إبطال الباطل؟

الجواب عن هذه الأسئلة بتطبيق الشرط الثالث للنجاح وتجنب الخسر كما جاء في سورة العصر التي كان الصحابة يختمون بها مجالسهم ليتذكر كل منهم واجبه، وهو شرط التواصي بالحق والتواصي بالصبر. الواعظون بالقرآن وأصحاب السلطان قلة عددية، وسيبقون قلة حتى عندما تكون الدعوة منظمة، وجند الله مجندا، والدولة متماسكة صارمة، سليمة في أجهزتها، كفئة برجالها. فلا تستطيع الدعوة ولا الدولة أن تحضرا في كل مكان، وتراقبا كل حركة، وتفرضا السلوك المرغوب في كل المجالات. وإنما تستقيم أمور الأمة على ما يراد لها إذا شاركت الأمة في تحريك حياتها ومراقبة شؤونها، الرجال والنساء، الكبير والصغير، الأمير والمأمور، كل يقمع السلوك المكروه المنكر، ويقوم ويسند جانب الحق.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ركن من أركان الإيمان. وهو فرض عين على مسلم ومسلمة، حتى ولو أدى بهما ذلك للهلكة. يقول أبو بكر بن العربي في «أحكام القرآن» عند قول الله عز وجل: ﴿**وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ**﴾ آل عمران، 21 : «قال بعض علمائنا: هذا دليل على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإن أدى إلى قتل الآمر به». وقال: «المسلم البالغ القادر يلزمه تغيير المنكر. والآيات في ذلك كثيرة، والأخبار متظاهرة. وهي فائدة الرسالة وخلافة النبوة». وقال: «وليس من شرطه أن يكون عدلا عند أهل السنة. وقالت المبتدعة: لا يغير منكر إلا عدل. وهذا ساقط. فإن العدالة محصورة في قليل من الخلق. والنهي عن المنكر عام في جميع الناس». ما نرجوه من تعبئة عامة في الشعب بقيادة العدول جند الله، وما نريده من يقظة عامة يشارك الشعب بمقتضاها في إبطال الباطل وإحقاق الحق والصبر على المشقات والتضحيات، يجب أن يكون سمة جند الله فيما بينهم قبل الوصول إلى الحكم وبعده.

ألفت الأمة جو الركود والكسل الفكري والعملي، فلا تستقل بفكر ولا بمبادرة، ولا تحدث نفسها بالانتصار للحق والمشاركة في البناء. لا بد من تغيير الذهنية الرعوية التي توهم الناس بما ألفوه من قمع مزمن أن لا علاج

لما هم فيه. لا بد من إعادة الصحة إلى النفوس والعقول المصابة بداء القعود، وإعادة ترتيبها ثم تعبئتها للمشاركة في الجهاد.

إلى جانب نظام الحسبة التابع للدولة، وإلى جانب وظائف الدعوة، يجب أن يشارك الشعب المسلم في مراقبة الإدارة والأخلاق العامة، وتقويم ما اعوج، وإصلاح ما فسد.

ولا يعني هذا أن تكون الفوضى، خاصة إذا شارك عامة الناس، وهم غير العدول في تعبير علمائنا، وهم الجماهير في لسان العصر. كلمة تعبئة تعني تصفيف الصفوف استعدادا للمعركة. فقبل القومة يتعين على جند الله أن يتعلموا التشاور في الأمر قبل العزم، ثم الصبر على التعاون والتواصي بالحق أثناء تنفيذ مهمات التربية والتنظيم والزحف. وبعد القومة في مراحل البناء يعبئ جند الله أمداد الشعب لتعمل بنظام وخطة. فإن الارتجال في الفكر والعمل، والغليان بعد الفتور، وما يتبع ذلك من تسلسل الاضطراب، أمراض ساخنة يقابلها الأمراض الباردة كاحتكار الفكر والمبادرة، ومنع نقد الحكام، وتنشئة الناس على تأليه السلطان.

ما نقلناه عن الإمام ابن العربي من وجوب اشتراك العامة في النهي عن المنكر يلتقي بكلمة للإمام علي رضي الله عنه. نوردها لنسكت من يزعمون بالكذب أنهم مع الجماهير إذ نقولها بصدق. كتب الإمام علي إلى محمد بن أبي بكر عامله على مصر: «فإن سخط العامة يذهب برضى الخاصة، وإن سخط الخاصة يغتفر مع رضى العامة، وليس أحد من الرعية أثقل على الوالي مؤونة في الرخاء، وأقل معونة في البلاء، وأكره للإنصاف، وأسأل بالحاف، وأقل شكرا عند الإعطاء، وأبطأ عذرا عند المنع، وأضعف صبرا عند ملمات الدهر من أهل الخاصة، (أرأيت الوعي الطبقي كما يقولون!) وإنما عماد الدين، وجماع المسلمين، والعدة للأعداء، هم العامة من الأمة، فليكن صغوك (أي سماعك) لهم، وميلك معهم».

مرضا الهيجان والخمول يماشيان جو الغموض والكذب وكبت حرية

الناس. فإذا صدق الحاكم والعالم، إذا صدق الأمة رجال الدعوة ورجال الدولة، وصارحوها بأمورها، فتحوا أبواب المشاركة. فنرجو أن يعقب الأجيال الخاملة المنهزمة المظلومة أجيال حية مثل الجيل الذي خاطبهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

قال الصديق بعد مبايعته، يخطب في جند الله: «أيها الناس! (أرأيت كيف خاطب عامة الناس، كيف كان جماهيريا كما يقولون!) إني قد وليت عليكم ولست بخيركم. فإن أحسنت فأعينوني. وإن أسأت فقوموني. الصدق أمانة. والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ الحق له إن شاء الله والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء. أطيعوني ما أطعت الله ورسوله. فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم. قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله».

نكتب إن شاء الله في نظام الدولة الإسلامية في فصول أخرى. لكن نركز من هاهنا على أن نجاح العمل الإسلامي في المراحل كلها، لا سيما في مرحلة البناء بعد القومة، رهن بقيام الأمة عامة من مواقع الذل التي ضربها الله بها لما تركت الجهاد، وإنكارها، ومقاومتها للفاحشة أن تشيع، وهو بلاء من الله. الصدق أمانة، والكذب خيانة، كما قال الصديق الحبيب. فإن لم نصدق الأمة في الحديث، ولم نصدق معها على الميدان في الصبر ومقاسمة الهموم والجهود والبذل، لم يكن جند الله قادرين على إحياء عامة الأمة لتشارك، وتهتم، وتفهم، وتشمر، وتنفذ. سنكون بدون وضوح النيات، وصدق العزائم، ومشاركة الشعب، عاجزين عن أي تغيير، ونسقط في ورطة التجارب المتسلسلة الفاشلة.

شعارات غيرنا التهييجية: ديمقراطية، جماهيرية، نقد، نقد ذاتي، حرية... ألفاظ جديدة تتقعقع في أسماع الناس ولا نرى لها مثالا مجسدا يشبه ولو من بعيد البعيد الذي كان قائما يوم خطب الصديق، والذي سيقوم إن شاء الله على منهاج النبوة إن وفينا حقه.

*** الشعبة الثانية والخمسون : تأييد الله عباده المجاهدين بالغيب**

نقرأ في سنة الرسول صلى الله عليه وسلم أخبارا عن المعجزات، فهل كانت المعجزات آيات كونية أقنعت العقول بصدق الرسالة فقط، أم كانت من العوامل التي أيدت الإيمان في القلوب؟ هل هي ظواهر انتهت بموت المصطفى المؤيد صلى الله عليه وسلم، أم هي لوازم الجهاد الصادقين، وشعبة من شعب الإيمان، ماضية إلى يوم القيامة تتجدد كلما تجددت شروط ظهورها؟

لا نطيل الكلام في أن الكرامة ثابتة لأولياء الله، إنما نريد أن نعرف أن الكرامة الثابتة للولي الفرد تثبت أيضا للجماعة المجاهدة. فإن غالب معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم وقعت في الغزوات، والمؤمنون في جهاد وصبر ومعاناة. فكانت المعجزات خطابا إلهيا لتلك القلوب المتوكلة على ربها أنها على الحق.

وكلما برز المؤمنون إلى ساحة الجهاد، ولجأوا إلى الله تعالى، واضطروا إليه، جاء النصر الغيبي. واقرأ ما كتبه الإخوان المسلمون من كرامة الله لهم وهم في السجن والعذاب.

عند الإمام مسلم، في كتاب الزهد والرقائق عند ذكر معجزة الشجرتين اللتين تحولتا من مكانهما لتسترا رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن أبا اليسر راوي الحديث قال: «سرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان قوت كل رجل منا، في كل يوم، تمرة. فكان يمصها ثم يصرها في ثوبه. وكنا نختبط بقسينا ونأكل (أي نسقط أوراق الشجر). حتى قرحت أشداقنا».

عند هذه الشدة وأمثالها يظهر التأييد الغيبي، قال جابر رضي الله عنه في سياق الحديث عن غزوة بواط هذه التي تحدث عنها أيضا أبو اليسر: «فأتينا العسكر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يا جابر، ناد بوضوء**» فقلت: ألا وضوء؟ ألا وضوء؟ ألا وضوء؟ قال: قلت يا رسول الله! ما وجدت في الركب من قطرة».

عندما تقرحت الأشداق، وظمأت الأنفس المجاهدة، ظهرت المعجزات، ونبع الماء من بين الأصابع الشريفة حتى روي جند الله.

روى مسلم في هذه الغزوة قال: «وشكا الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجوع فقال: «**عسى الله أن يطعمكم**» فأتينا سيف البحر. فزخر البحر زخرة. فألقى دابة. فأورينا على شقها النار. فأطبخنا واشتوينا وأكلنا حتى شبعنا».

معجزات جاءت في الشدة ليؤيد الله جهاد المؤمنين، ويربط على قلوبهم، ليعلموا أن لهم ربا ينصرهم لما نصروه. وكذلك نحن عندما نعدد المهمات الشاقة أمامنا، لا نفزع لضخامتها. فعون الله مضمون إن شاء الله ووفينا ما عاهدنا الله عليه. **والله أكبر!**

*** الشعبة الثالثة والخمسون : البركة في أرزاقهم**

كما نحتاج إلى تأييد الله العام لنا في جهادنا نحتاج إلى تأييد خاص في ميدان الأرزاق. كان الصحابة رضي الله عنهم يشاهدون الملائكة تقاتل معهم فيزدادون قوة، ونحن قتالنا لا ينحصر في ميادين الجلاد لنخرج أعداء الله الصهاينة وغيرهم من بلاد الإسلام، بل يتوسع في ميادين التعليم والتصنيع والتنمية. نحن بحاجة إلى معجزة اقتصادية. وستكون لنا تلك الكرامة إن شاء الله ووفقنا لإعداد القوة ما استطعنا، لا نعطل الأسباب.

روى البزار حديث الخلافة على منهاج النبوة الذي ذكرناه أول هذه الفصول مع زيادة مبشرة نرجو الله عز وجل أن يجعلنا أهلا لها. فقد نقل الإمام الشاطبي أن البزار روى بسند حسن صحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إن أول دينكم نبوة ورحمة. وتكون فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله جل جلاله. ثم يكون ملكا عاضا، فيكون فيكم ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعه الله جل جلاله. ثم يكون ملكا جبرية، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله جل جلاله. ثم تكون خلافة على منهاج النبوة تعمل في الناس بسنة النبي، ويلقى الإسلام بجرانه في الأرض** (ينتشر

ويتمكن)، **يرضى عنها ساكن السماء وساكن الأرض. لا تدع السماء من قطر إلا صبته مدرارا، ولا تدع الأرض من نباتها وبركتها شيئا إلا أخرجته»**.

وشرط هذه الكرامة الإيمان والتقوى. قال الله عز وجل: ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ**﴾ الأعراف 96.

انظر كيف حلت نقمة الله المجسدة في أموال البترول على حكام الجبر، يملؤون أبناك اليهود بها، يغذون ثعابين الصهيونية. وكيف عم الرخاء الزائف شعوبنا المضللة التي تحولت إلى مجتمع مستهلك رخو. يضيف الجبريون إلى هزائمهم العسكرية جريمة إفساد الأمة بإلهائها عن الحق، وإغراق أسواقها ببضائع اللهو والفساد والعبث. غثاء! وإنما تأتي البركة من السماء والأرض يوم تنبري الأمة بقيادة طليعتها من جند الله للجهاد في سبيل الله، تنكر العبث والاسترخاء، وتغير منكر التبعية للجاهلية، ومنكر الاستبداد الجبري ومنكر المناهج الضالة، تعمل بسنة النبي على منهاج النبوة، حكما واجتماعا، واقتصادا وثقافة، وتعليما وصناعة، وفلاحة وسلوكا عاما.

إنما تحل البركة على المؤمنين المتقين، وبساحة القوم المنذرين سوء العاقبة، الذين أهانوا الأمة وقتلوا فيها الرجولة.

الخصلة السابعة : السمت الحسن

عن عبد الله بن سرجس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**السمت الحسن والتؤدة والاقتصاد جزء من أربعة وعشرين جزءا من النبوة**» رواه الترمذي وقال: حديث حسن غريب، رواه الإمام أحمد ومالك وأبو داود بنحوه. وروى الضياء عن أنس هذا اللفظ: «**السمت الحسن جزء من خمسة وسبعين جزءا من النبوة**» وصححه السيوطي.

فهذه الخصلة واللتان تليانها منشقات من هذا الحديث. السمت معناه لغة القصد والطريق القويم والهيئة الحسنة.

السمت الحسن تربية

*** الزيال**

زايل بمعنى فارق. مصدره زيال ومزايلة. يعبر الكتاب الإسلاميون عن التميز الواجب عن الجاهلية وبيئة الفتنة بكلمتي تميز أو مفاصلة. ونفضل لفظ الزيال الذي ورد في الحديث بهذه الصيغة. وهو لفظ قرآني أيضا. والسمت الحسن زيال قصد الجاهلية وهيئاتها.

نقل ابن القيم في «زاد المعاد» في حديث طويل صححه عن عبد الله بن الإمام أحمد وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بايع لقيطا بن عامر على **«إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وزيال الشرك، وأن لا يشرك بالله شيئا»**.

شرط رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك الأعرابي زيال الشرك عند انتقاله من جاهلية لإسلام. والمسلمون عند تجديدهم الإيمان مطالبون بزيال الفتنة والتميز عنها أفرادا وجماعة، سلوكا وأخلاقا، سياسة واقتصادا ونظاما.

كل منا له ماض نشأ فيه بين أحضان بيئة ملوثة، وكل منا يعاني في حاضره من أوضار الفتنة، إن لم يخض فيها مكرها أصابه من غبارها.

وتصيب بعضنا رحمة الله فيتوبَ. قد تكون توبته على يد دعاة حرفيين، وقد تنزل به من ضربات الأعداء أو من مس الشيطان ونكسات الإيمان ما يدفعه للتشدد الغالي والتطرف في فهم واجبه، فإذا به يكفر المسلمين، وينعزل عن المجتمع المسلم على كل حال، ليسكن المغارات، ويؤسس مجتمعا متحجرا.

ليس هذا هو الزيال المرجو. فإن أسلوب التكفير، تكفير المسلمين كان أول مروق عن الإسلام بين من سماهم المسلمون خوارج. أولئك خرجوا عن المسلمين وكان للمسلمين إمام منهم، وخوارجنا من كل الأصناف يكفرون العامة والحكام، والصالح والطالح، ويجمعون كل أولئك في قرن مع دعاة الإسلام وبناته.

يقرأ بعض الشباب الغض كتب بعض علمائنا من أمثال المودودي وسيد قطب رحمهما الله، فيجدون كلمة «الجاهلية» تطلق على مجتمعات الفتنة التي نعيش فيها، فلا يأخذون من المعنيين الاثنين لهذه الكلمة إلا ما يسبق إلى أوهامهم، فيعتقدون أن علماءنا كفروا الأمة. فمن ذاك الباب يدخل عليهم التطرف. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي ذر لما شتم رجلا وعيره بلون أمه: «**إنك امرؤ فيك جاهلية**». فما قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أبا ذر كفر، إنما قصد أن ما في طبعه من شذوذ وما على لسانه من حدة صفتان أحرى بهما أن يتنزه عنهما المؤمن.

ونحن نفضل استعمال كلمة «فتنة» لوصف مجتمعاتنا، فهي كلمة نبوية، وفي كتب الحديث فصول خصصت لذكر ما حدث به الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم عن نشوء فتن واضطرابات في الأمة، ما ذكر أنها تخرج الأمة عن إسلامها. إنما هي أمراض، بعضها أخطر من بعض، والزيال الواجب لها ليس في الانسحاب والاستعداد لنسفها، لكن في معالجة الفتنة لنقضي على الفتنة لا على الناس.

بعض الشباب يقرأون كتبا حرفية هجومية على المسلمين. وقد يكون منهم من هو في أحضان التربية الجهادية، حتى إذا قرأ في كتيبات تدعو لها بعض الجهات، وتشجعها، وتجند لكتابتها وإذاعتها بعض فقهاء الوقت ومحدثيه، أن الشرك والبدعة السائدين في المسلمين أولى بالقتال من فتن الحكم الجبري وأصوله، انقلب يقاتل أباه وأمه والمسلمين. يبسط لسانه ويده، ويشير بأصبع الاتهام والريبة للمسلمين يتحول معول تخريب في عملية تآمرية عميدها الشيطان، ووزراؤه فيها أعداء الإسلام.

ليس هذا الزيال الذي نريد.

*** دعاة لا قضاة**

يرحم الله الأستاذ حسنا الهضيبي، فقد قاسى من تطرف بعض الشباب الذي قرأ فلم يهضم، وعرضت عليه التربية فلم يصدق، ومارس

العمل المنظم فوجد الالتزام المسؤول ثقيلا والنقد الهدام مريحا. وكتب الأستاذ رحمه الله كتابه بهذا العنوان «دعاة لا قضاة» يشكو بين السطور. فذاك درس لنا من أهم الدروس.

إن منصة القاضي والمتهم للناس رئاسة قلما يتمنع عليها الضعفاء. لا سيما إن نزغ الشيطان في نفوسهم أنهم وحدهم بخير، وأن الناس سواهم هلكى. فعند ذاك تتحول كل حركة من غيرهم شركا وبدعة، ويصبحون هم الخصم والحكم. وتغتر الدهماء من العامة بكل عليم اللسان وتتألف كتائب الهدم.

إن واجبنا أن نجلوا للناس بمثال سلوكنا وبتعليمنا وفكرنا وخطتنا أن هذا الإسلام رحمة، وأن ما فيه أمتنا أفرادا وجماعة بلاء .

أمتنا في صراع حياة أو موت مع الجاهلية التي تغزونا من خارج بتعاون مع ممثليها وأبنائها الروحيين من بني جلدتنا من الملحدين والمنافقين والماديين.

الأمة المسلمة مجموعة بشرية تتألف من أفراد يتفاوتون إيمانا. يتراوحون من النفاق إلى الإسلام الموروث إلى الإيمان المتطلع إلى الصلاح والإحسان، والمهمة أن تتألف من هذه الأفراد كتلة متماسكة مسؤولة عن إقامة دين الله في الأرض. ما المهمة، ولا يكفي أن نحارب شرك الأفراد وبدع المبتدعين. وما بذهنيه التكفير يمكن أن نربي جيلا نموذجا يمثل الإسلام في عقيدته وأخلاقه، في عبادته وجهاده.

بين المسلمين والجاهليين صراع حضارة، صراع نماذج. نحن ننظر إلى نموذجنا الخالد في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وجهادهم نريد أن نجدده. والجاهليون يقنعون أبناءنا، حين ألجأتنا ظروف الاستعمار، واغترار بعضنا بثقافتهم، واضطرارنا لاستيراد أساتذة منهم، أو بعث أبنائنا إلى أرضهم، أن تراثنا تخلف، وأن فكرنا جهل، وأن ديننا إفك. والمكفرون يدعون أنهم حماة الشريعة والسنة، يحاربون المؤمنين ويوالون

الطاغوت. فعندهم، نعوذ بالله، أن حكام البعث الملحدون أهون خطرا على الإسلام من عجوز تعبد الأضرحة، أو عالم من صالحي الأمة يخالفهم في المذهب الفقهي.

ولنحن أحوج إلى من يمد الجسور بين المسلمين في هذا العهد المبارك الذي يمد فيه عقلاء إخوتنا الشيعة بعد قومة إيران المباركة إن شاء الله يد الأخوة إلى سواد الأمة.

في الأمة خرافات وبدع وأمراض وشرك لا بد من تطهيرها. وجند الله حين يتألف، وحين يزحف، وحين يتولى الحكم، مسؤول أن يعطي المثال، ويفرض النموذج السلوكي، ويربي عليه. والتطهير والتربية عمليتان تطلبان الوقت، وتطلبان الرفق. إن كنا نظن أن تفصيل الأمة بسيف قاطع، يميز في الحين الأجزاء الصالحة والفاسدة بعضها عن بعض هو العلاج، فما نحن هناك.

الأمة جسم حي متداخلة أفراده، متشابكة وشائجه ومصالحه، مختلفة ذهنياته واستعداداته، متنافرة أحزابه وطوائفه.

التمييز الطبقي أساس فلسفي وعملي لثورة الجاهليين يمكنهم بواسطة «دكتاتورية البرولتاريا» من تصفية طبقة وإحلال طبقة أخرى محلها.

أما قومة الإسلام فلا يكفي فيها القضاء على الفارق الطبقي، إنما يتعين أن ينبعث المستضعفون من تحت الفتنة، كما انبعث المستضعفون مع الرسل عليهم السلام من تحت الجاهلية، ليثبتوا بصمودهم في وجه المستكبرين، وسطهم مزاحمة ومدافعة وجهادا، حتى يملكوا النصر وإمامة الأمة. بالأسلوب النبوي والمنهاج النبوي. ثم يبسط المؤمنون نفوذهم المعنوي على مراحل الدعوة، ونفوذهم السلطوي بعد قيام الدولة الإسلامية، فيؤثروا في البيئة الفتنوية على كل مستوياتها، بالتدرج والسير الرتيب. إن كان العدل الإسلامي -عدل القضاء وعدل الأرزاق- هو أول المهمات وأظهرها لعين المراقب، فإن التغيير الجذري للأمة هو هدف القومة.

ويبدأ هذا التغيير الشامل من أنفس الدعاة. عليهم أن يضبطوا كل تصرفاتهم وحركاتهم بضابطي الكتاب والسنة. الجد في حمل أنفسنا على الاستقامة لا التوجه إلى المسلمين بالتكفير. الوقار لا الجمود. البشر لا الاكفهرار. الأدب لا الإسفاف والتبذل التريث لا العجلة. التعلم والصبر عليه لا ترديد العبارات.

في مظهر المؤمنين ومخبرهم ينبغي أن يقع تحول. في اللباس ولهجة الخطاب. زيالنا عن عادات الكفار في العاديات والفكر والأسلوب معا. لا نلبس لباسهم إلا لضرورة التدرج في طرح التقليد. بعضنا يتسامح في هذا وأمثاله من حلق اللحية أو نصفها، ومن الأكل بالشوكات وما شابه من جزئيات المظهر والسلوك. إن مسخ التقليد درجات بعضها أخسر من بعض. فلا نعمد إلى الجزئيات من ذلك نتخذها ميادين لمعارك جانبية. لكننا بعد التخلص من أسباب المسخ في الجذور لا بد أن نستأصل فروعه وكل مظاهره، سيما ما خالف منها السنة. ما زيال فكرهم بأولى من زيال عاداتهم، وإنما السمت الحسن أن نقصد بهمتنا وإيماننا وأعمالنا الصالحة مقصد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونظهر بمظهره، ونقلده في جليل الأمر وعاديه.

هذا الاتباع لسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم في سلوكه الخاص والعام، باستثناء خصوصياته صلى الله عليه وسلم في حياته اليومية والرسالية، في سلمه وحربه، في حله وترحاله، في تقلله وبساطته، هو الضامن الوحيد لقلع جذور الفتنة من بيننا.

وليس الحرص الشديد على هذه المتابعة النورانية هو التنطع، إنما التنطع أن يعمد بعض الناس إلى جزئيات من الشريعة يؤولها بفهمه، ويسخر فهمه لتغليب شهوته في الظهور، ليفتن المسلمين والمؤمنين.

السمت الحسن تنظيما

*** بشر المنافقين !**

روى أبو داود والطبراني أن رسول الله صلى الله وسلم قال: «من تشبه بقوم فهو منهم». فلا يتم الزيال بمفارقة الشرك والنفاق حتى نزايل النموذج الكافر فلا نتشبه به في فكره ولا خلقه ولا عاداته. ذلك أن العزة لله جميعا، فمن طلب العزة في غير جانبه، والتمس باقتفاء سبيل الكافرين عضدا، فقد ذل لغير من أمر بالذلة لهم. قال الله تعالى: ﴿**فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ**﴾ المائدة، 54.

عباد الله حقا لا يستعبدهم استعلاء الجاهليين فيقلدوهم. وقد ابتليت الأمة بهذا الاستعمار الذي تطور من احتلال فعلي إلى احتلال عم فكرنا وعقيدتنا وأساليب حياتنا. ولا بد من طرد النموذج الجاهلي مع استخلاص ما هو قسمة مشتركة بين البشرية كالعلوم الكونية والصناعية التقنية. نقدر على ذلك فقط إن رضينا بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا. عندئذ يهون في أعيننا ما نراه من تفوق مادي لحضارة الجاهلية ويظهر لنا جليا ما وراء تفوقهم الحضاري المادي من بؤس الإنسان البعيد عن الله المتنكر لدين الله ومن حقارته في ميزان الحق.

ما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور، بهذه النظرة إلى الدنيا يميز المؤمنون ما هو عابر مما هو خير وأبقى. ثم يقرأ المؤمنون قول الله عز وجل: ﴿**الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ**﴾ الملك2، وما في معناها من الآيات، فيدركوا عظم ما ترك لهم من حرية ومسؤولية لينافسوا الكفار، ويجاهدوهم، ويغالبوهم بوسائل الدنيا المسخرة لنا جميعا. وفرق بين تقليد الغالب لسلطان غلبته، وبين استخلاص ما معه من سلاح لقهره والاستعلاء عليه.

فاجأ الغرب الجاهلي مجتمعاتنا الراقدة على موروث فتنوي بقوته العسكرية، وقوته التنظيمية والصناعية، وبهرجة حضارته. فخيل لأجيالنا التي عاشت الاستعمار وما بعده أن ما عند الغالب الغازي هو الحق، وأن الحياة

تطور وتقدم، وأن ما مضى من تاريخنا وتاريخ البشرية مراحل طفولية، كل ما فيهما من قيم يليق أن يطرح لنتبنى الفلسفة التقدمية والقيم المادية التي تملأ سمع الدنيا وبصرها.

مالت القلوب لتعظيم الكافرين، وتسرب إلى العقول واحتلها فكرهم، وإلى مجالات حياتنا السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية والقانونية واليومية معاييرهم وتقويمهم.

وعلى سطح حياتنا، طافية على لسان حكام الجبر، شعارات الإسلام، منافقة تكتب في الدساتير الوضعية، وتعلن في المواسم. ولولا أن سواد الأمة بقي في قرارة نفسه يؤمن بالله ورسوله ودينه حقا لكان النفاق عم. ولولا هذه الأجيال الصاعدة المبشرة بتجديد الدين، الراجعة من مسار «التقدمية»، تلك التقدمية التي تعني ضياع شخصيتنا، وتفضي إلى ذوباننا في الجاهلية، لكان النموذج الجاهلي منتصرا.

نعم إنه نفاق أجيال، وموالاة الكفار بالإعجاب بحضارتهم، والميل إليهم. وما يصيبنا وسط الذين ظلموا من عذاب إنما هو من انهزامهم أمام الكفر، ثم انخداعهم به، ثم ميلهم إليه. قال الله عز وجل: ﴿**بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ العِزَّةَ للّهِ جَمِيعاً**﴾ النساء، 138-139.

وقد مضى إن شاء الله عهد كان ذراري المسلمين فيه يعتز بعضهم بتقليد الغربي، والرطانة بلغته، والظهور إلى جنبه كالند، ومشاركته في فكره «التقدمي»، والانتصار والترويج له بيننا.

أقول مضى بلفظ الماضي استبشارا. وإلا فالنموذج الجاهلي ضارب أطنابه لا يزال بين الفئة المغربة من ذرارينا. ولئن كان من «موضات» الجاهلية الحديث عن ذاتية وأصالة القوميات، والألوان واللغات، فما هي إلا نكبة من نكبات التغريب.

يريد بعض ذرارينا المغربين التميز بقوميتهم وقبيلتهم وعجمتهم، ولا يشعرون أن هذا التميز التعصبي لا يخرجهم عن دائرة الحضارة والثقافة الغربيين. وبالعكس يفصل بينهم وبين إخوانهم المسلمين الموحدين بالإيمان عاليا فوق هذه القاذورات العصبية.

* ...**فأعضوه**...

إن تجديد الدين يبعث الله له على رأس كل مائة سنة رجالا ليسددوا سير الأمة على الصراط السوي، صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض، وصراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين. وقد كان في سير القطار الإسلامي ميلان وانحراف على مدى قرون الفتنة. لكن هذا القطار زاغ تماما عن سكته، وانحرف بنصف دائرة عن وجهته، بدفع الصدمة الاحتلالية وجر الاستعمار المتطور المتشكل، وقيادة حكام الجبر المغربين من بني جلدتنا.

فمهمة التجديد في مطلع هذا القرن المبارك الموعود أن نعيد القطار إلى سكته ووجهته، لا أن نتقدم على درب التقليد والتبعية والتخاذل أمام الحضارة الدوابية الآخذة في الأفول على مستوى الإنسان، وإن كانت لا يزال لها وميض من صناعتها المتفوقة وقدرتها على التنظيم وأسلحتها الجهنمية.

تقدمية نريد. لكن أي تقدمية؟

النموذج المتسلط في المدارس، والكليات، والإعلام، والشارع، والأسواق، في بلادنا الإسلامية بدأ يتلقى التكذيب العملي من جانب المؤمنين. في إيران كان رفض الحضارة الشيطانية ساطعا. وفي غير إيران أخذت تظهر بوادر الهجوم الإسلامي على الدوابية الغازية. وأخذ الإسلام المتجدد ينزل إلى الشارع كما فعل في إيران ليطلب الطهارة انتقالا من الرجس، والتقدم الذي يرفع الإنسان ويكرمه استنكارا للتقدمية التي تصنفه خادما تابعا لهيمنة أمريكا، وإديولوجية روسيا، وقمع الجاهلية وسلاحها.

لا تقدم لنا يرجى من تخلفنا الحضاري، ولا نهضة لنا من كبوتنا التاريخية، ما دمنا نسير قطار الأمة على سكة الجاهلية، وبوقودها الفكري، وسياستها المتوجهة إلى استعباد عقولنا ونفوسنا وطاقاتنا وأرضنا لها. إنما نتقدم ونتعلم ونتحرر إن خرجنا من جاذبيتهم، وولينا ظهرنا لنموذجهم واتجاههم.

حضارتهم في خراب من داخلها، وخفافيش الفكر فينا لا يزالون مأخذوين ببريقها الكاذب. تكفينا نظرة على نسختنا الكئيبة من أصلهم. الأسرة والبيت كيف يريدها الإسلام وكيف هي فينا؟ التعليم؟ الخلاعة؟ الزنا والانحلال؟ الخمور والمخدرات؟ اللهو وانتهاب اللذات؟ التهافت الفكري؟ ونزيد إلى أمراضهم هذه التي استوردناها، ونستوردها بأثمان باهظة في الأموال والأنفس والثمرات، أمراضنا المحلية المتولدة المتفاعلة مع أمراضهم: العجز عن الاستقلال بالفكر، جهل ما ينبغي أن يفعل والتخبط والعشوائية، أحزاب متناحرة غوغائية، حكام ظالمون، استبداد، تفرنج يؤدي المستضعفون ثمنه وتختال قردة التقليد في حلله الرجس. تخلف عام. إدارة مرتشية. قضاء مرتش. فوضى قانونية. قمع بوليسي. والقائمة طويلة.

إن حياة الناس وسط الفتنة، أوقاتهم اليومية والأسبوعية والموسمية، علاقاتهم، عاداتهم، نظامهم في العمل والبيت والشارع، ثقافتهم، مدارسهم، جرائدهم، كتبهم، إعلامهم، يسودها النموذج الجاهلي الفاسد. حركتهم تسير على سكة غير سكتنا. العاطفة والفكر والجسم مرهونة مشدودة مستعبدة بسلوك منكر أصبح معروفا. فرضته العادة. فرضه سلطان الغلبة على ميدان المعركة الحضارية. صرعنا! هزمنا!

فلا بد أن يزحف جند الله إلى مواقع العدو ويملؤوا حياة الأمة في كل الميادين بالسلوك الإيماني، لا بد أن يغيروا السكة والاتجاه. وتبشر فتوة هذا الشباب الطاهر الصاعد والحمد لله بقومة تقيمنا من صرعتنا التاريخية. وتعود إن شاء الله الهزيمة على الجاهلية التي نراها منذ قومة

إيران والجهاد الفذ المنتصر بإذن الله في أفغانستان في موقف الحيرة والدفاع والكيد الثعلبي الخسيس، وقد كانت علينا قبل ذلك أسدا كاسرا.

هذا الزحف الجهادي الذي به نسترجع كرامتنا وحريتنا من أسر النموذج الجاهلي لن يقوده دعاة السمت السيء سمت القومية والقبلية والتفرد بالانتماء واللهجة والتربة والجهة.

كل فلول الأحزاب السياسية والحركات القومية والأصالية مفتوحة لهم الأذرع ليسيروا في خط الإسلام، بعلم الإسلام وحافز الإيمان، مع الشعب المسلم والطليعة المجاهدة.

ونريد أن يعرف الكل أن هذا التميز القومي الذي قلدنا فيه الجاهلية، وهذا التميز الفلكلوري الذي تقلصت إليه القومية في دول الجاهلية، لا مكان لهما في الإسلام، إسلام الوحدة الذي لا يعترف بفروق الجنس واللغة والانتماء الوطني المحلي والترابي، ولا بالحدود الفتنوية التي قسمت دار الإسلام إلى ما نرى من شظايا. لا يعترف، بل يقاتل أشد القتال.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو داود: «**ليس منا من دعا إلى عصبية. وليس منا من قاتل على عصبية. وليس منا من مات على عصبية**». وروى ابن كثير أن جابرا بن عبد الله قال: «كنا في غزاة، فكسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار. فقال الأنصاري: يا للأنصار! فقال المهاجر: يا للمهاجرين! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **دعوها! إنها منتنة!**».

وروى البخاري في الأدب والإمام أحمد وغيرهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**من تعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه بهن أبيه ولا تكنوا**». أي قولوا له لتجزروه عن العصبية هذه القولة البليغة التي تصيب الأعرابي في صميم شعوره وتؤلمه. ويقول الخليفة الراشد عمر رضي الله عنه مؤكدا الحديث الشريف: «من اعتز بالقبائل فأعضوه، أو أمصوه!» أي قولوا له: يا عاض كذا! أو يا ماص كذا!

وروى البخاري في صلح الحديبية أن عروة بن مسعود لما كان يخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيما قال له: «هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك؟ وإن تكن الأخرى (أي إن انهزمتم) فإني والله لا أرى وجوها، وإني لأرى أشوابا (أي أخلاطا) من الناس خليقا أن يفروا ويدعوك» فذكر العربي المشرك ما يعرفه من عصبية الجاهلية، ووصف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنهم أخلاط من قبائل شتى، وذكر ما ألفه من أن الجنود المنتصرة إنما هي جنود تربطها العصبية القبلية والحمية الجاهلية. لذلك انبرى له أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقال له: «يا ماص بظر اللات! أنحن نفر عنه؟» فعيره بتلك الكلمة الجارحة، ولم يذكر أباه ولا أمه بل ذكر معبودته اللات. وذلك أنكى فيه.

كذلك نحن في تحركنا المبارك بإذن الله، نتميز عن الأحزاب السياسية، والحركات القومية، والجهوية القبلية، وسائر الانتماءات المفرقة، ونزايلها. وإن اضطررنا إلى الدخول في مرحلة ما في تنافس ديمقراطي تحت مظلتهم، فإنما نفعل ليفتضح أمام الشعب تهافتهم وأنانيتهم واستكبارهم. ليعلم المسلمون بالتجربة أن حزب الله وحده القادر بتأييد الله على سَوْق الخير للأمة، وعلى تحريرها من التيار الذي يجرفها إلى المصير المكروه.

ثم لا نفتأ ندعو المغربين من ذرارينا إلى كلمة سواء بيننا وبينهم، أن نتوب جميعا إلى الله، ونتوحد على نصرة دينه وقضيته، وهي قضية الأمة المباركة التي تعاني نكسة تاريخية، وقضية المستضعفين في الأرض جميعا، وقضية الإنسان الذي خلقه الله ليكرم فأهانته حضارة المادية، واستعبدته وأبعدته عن الله.

يليق بجند الله أن يكتبوا في لافتات أمام أبوابهم للواردين: «أيها الداخل الوافد، كن عمر بن الخطاب وقد أنت المسيرة».

هؤلاء الشباب والكهول التابعون لنموذج الغرب والشرق الجاهليين، أسرى ثقافته ونمط حياته، رهائن الغزو الفكري والحضاري، ما هم إلا

وقود بشري يحترق في أفران القاطرة التي تجر قطارنا بسرعة انتحارية إلى الهاوية التي تسير إليها الجاهلية.

يحسبون أنهم يقودون السياسة والاقتصاد والفكر في بلادنا، وما هم إلا إمعات مسكينة.

يحسبون أنهم مهندسو القاطرة وقادتها وموجهوها. وإنما هم وقودها يحترقون في الدنيا في لهيب الإديولوجية الثورية المحمومة، أو في جحيم المتاع الدوابي، أو في نار الحركة المجنونة لجمع المال والجاه وخدمة أسيادهم ممن يبتغون عندهم العزة.

نقول للوقود البشري في أتون الجاهلية: هلم إلينا، فبالإسلام فقط يمكن أن نصنع قاطرة توصلنا إلى الله في الدار الآخرة، وإلى الكرامة والعزة والحرية والتقدم الحضاري في الدنيا. بالإيمان فقط يمكن أن نحول وجهة قطارنا، ونقطع حبال الجاهلية، وننطلق إلى مستقبل العزة. ﴿**وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ المنافقون، 8.

قد يتعين هدم الباطل قلعة قلعة، وفك القاطرة مسمارا مسمارا. وقد يتم الهدم والفك دفعة واحدة، لأن البناء متهر والمسامير صدئة، ما يمسك كل ذلك إلا الجاهلية التي تسند أنظمتنا التابعة. لكن إعادة البناء تطلب أن نجمع كل جهودنا، وأبناؤنا يوم يرجعون من إمبريالية أمريكا، وفلسفة ماركس، وثورية لينين، إلى الله ورسوله وهم الطاقة التي نرجو الله أن يسخرها لتبني وتقود.

وعلماؤنا يوم يرجعون إلى الله ورسوله، يأتمرون بآيات الجهاد، ويكفون عن تبرير الأمر الواقع، هم المحضن الذي ننتظر أن تأوي إلى دفء إيمانه الفلول الوافدة إلى الإسلام.

شعب الخصلة

*** الشعبة الرابعة والخمسون : الطهارة والنظافة**

روى الإمام مسلم والترمذي عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**الطهور شطر الإيمان. والحمد لله تملأ الميزان. وسبحان الله والحمد لله تملآن -أو تملأ- ما بين السماء والأرض. والصلاة نور. والصدقة برهان. والصبر ضياء. والقرآن حجة لك أو عليك. كل الناس يغدو: فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها**».

طهارة الظاهر تزكية للجسم ليقف أمام الله عز وجل وقفة المصلي المتلقي فيض الإيمان. فهي تطهير الوعاء من ظاهره، لذلك كانت نصف الإيمان. والنصف الآخر تطهير الوعاء من داخله، وهو القلب، بذكر الله، والصلاة، والصدقة، والصبر، وسائر القربات ولا طهارة ترجى للقلب دون الطهارة الشرعية من الخبث والحدث بشرائطها.

المؤمن الفرد والمجتمع الإسلامي المتجدد ينبغي أن تشيع فيه معاني الطهر والنظافة ظاهرا وباطنا. فالنظافة في العاديات طهارة يثاب عليها إن كانت النية إماطة الأذى عن المسلمين. نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البول في الماء الراكد، وعن اللاعنين (أي المتسببين في اللعنة) وهما التخلي (أي التبرز) في طريق المسلمين وظلهم. فها هو أصل إيماني لمحاربة تلوث البيئة وهي آفة من آفات العصر. في بيئات الجاهليين تلوث مزدوج، تلوث الأخلاق والفكر والنفس، مع تلوث البيئة الطبيعية بآثار الصناعات والتعمير. ونحن إذ نشكو من التلوث الأول مثل ما بهم، نحتاج إلى صناعة وتعمير نظيفين.

على قدر اعتناء جند الله بالمخبر إذ يجاهدون لتطهير الأمة من الظلم وهو كفر، ومن الحكم بالباطل، ومن البدع والفسق والإلحاد وسائر الرجس، يجب أن يعتنوا بمظهر الجسوم وسائر مرافق الحياة، ويطهروا

مجتمعاتنا من كل الخبائث.

من القربات إلى الله إسباغ الوضوء بعد إتقان طهارة الخبث، وصلاة ركعتين بعده، وغسل الجمعة، وخصال الفطرة وهي قص الشارب، وإعفاء اللحية (ولا حاجة للجدل في كيفية القص والإعفاء، ولا حاجة لتعزيز من يحلق لحيته بنية التستر عن المجرمين في المجتمعات التي تضطهد الإسلام)، واستنشاق الماء، وانتقاصه (أي الاستنجاء)، وقص الأظفار، وحلق العانة، ونتف الإبط (في فترات متقاربة)، والسواك الدائم، والختان. ومن سنن الإسلام النظافة بكل معانيها والتطيب سيما يوم الجمعة والعناية بالشعر بلا مبالغة والخضاب بالحناء والكتم.

والمؤمن الطاهر يتوضأ للنوم لتستغرق الطهارة كل حالاته.

وللحمام آداب وحدود. طلب المؤمنات ألا يغشينه إلا اضطرارا عند بعض الفقهاء كما شد عليهن ألا يتطيبن للخروج. والتبرج وأسبابه من وشم ووصل وما شابه من أصباغ آفة عظمى، وتلوث جاهر، على جند الله أن يطهروا منه البيئة مع سائر الخبث.

*** الشعبة الخامسة والخمسون : آداب اللباس**

أول ما يميز المؤمن من الكافر على مستوى الشعور بذاته وجسمه هو أن للمؤمن عورة، بمعنى أن لجسمه كرامة، وليست للكافر عند نفسه ولا عند الله، فهو نجس كله وعلى المؤمنين مراعاة الستر بدقة، خاصة المؤمنات أثناء خروجهن من الإباحية إلى الالتزام بشرع الله تعالى. لا بد من الرياضات البدنية للشباب الطاهر. وشرطاها الإسلاميان من حيث المظهر ألا تكشف فيها عورة ولا يضرب فيها وجه.

أمر الله المؤمنات أن يدنين عليهن من جلابيبهن، ونهاهن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اللباس الواصف لما تحته، ومن الواصف عند الرجال هذه البنطلونات التي عم بها البلاء. هي أنسب للتشمير والكد.

لكنها تصف وتعرقل حركات الصلاة. وما لدينا من سراويل فضفاضة تصلح للتشمير إن هذبت.

ويستحب للمؤمنين البياض، والعمامة، وترك الترفه في اللباس، والصدقة بالجديد والبالي من ثيابهم، وحمد الله والثناء عليه إذا كساهم ثوبا جديدا.

ونهي المؤمنون والمؤمنات عن لباس الخيلاء والتكبر، وعن جر الثوب تكبرا. وعن لباس الحرير والذهب للرجال. ونهي نهيا مشددا عن تشبه النساء بالرجال والعكس.

من حديث لمسلم والترمذي: «**إن الله جميل يحب الجمال**» فعلى المؤمنين والمؤمنات أن يأخذوا زينتهم عند كل مسجد، وأن يكونوا شامة بين الناس. فإن المظهر الجميل النظيف من مكملات الدعوة. ولا نتشبه بالقوم الكافرين، بل نرفع شعارات الإسلام ابتداء من ظاهرنا. فقد روى أبو داود والحاكم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**من تشبه بقوم فهو منهم**». والتشبه في اللباس أول الهزيمة الحضارية. فليكن تغيير زي الفتنة بالزي الإسلامي أول انتصار على موضاتهم، وتكلفهم، وتبرجهم، وتفاهاتهم، مثل رباط الرقبة وما شابه.

وأخرى مهمة وهي البساطة في اللباس. فليس التجمل أن ينفق المؤمن والمؤمنة الأموال على لباسهم. ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة، وقد كان يلبس ما تيسر، ويرتدي الإنبجانية وهي أغلظ وأخشن ما عندهم يومئذ.

ينبغي الاقتصاد وتوفير المال للجهاد. وعلى المؤمنات أن يطرحن حلي الذهب والفضة، ويحاربن في صفوف النساء عادة تكديس الأحمرين (الذهب والحرير) وعادة التنافس في ذلك. فقد روى ابن حبان وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**أُرِيت أني دخلت الجنة، فإذا أعالي أهل الجنة فقراء المهاجرين وذراري المؤمنين. وإذا ليس فيها أحد أقل من الأغنياء والنساء. فقيل لي: أما الأغنياء فإنهم على الباب يحاسبون**

ويمحصون. وأما النساء فألهاهن الأحمران: الذهب والحرير».

إذا ألهى المرأة التبرج وأسبابه، ضغطت على الزوج أن يبيع ذمته ليشتري مثل ما عند الجارة، وفشا الفساد. والتنافس الاجتماعي في هذا وأمثاله من أهم أبواب الرذيلة والرشوة والخراب. ليوفر المؤمنون والمؤمنات لكسوة الشعب العاطل في المدن والبوادي وطعامه.

*** الشعبة السادسة والخمسون : السمت الحسن والبشر**

في الحديث «**إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا**». والمؤمن المتجدد المجدد نسمة طيبة تسعى بين قوم يقيسون قيمة الناس بما في يدهم من متاع وقوة، وبما عليهم من ثياب، وبما على لسانهم من كلم. ولا يمكن أن ننقل الناس فجأة من سلطان معاييرهم الظاهرية إلى تقويم الإيمان بحقائق التقوى والخلق وحدها. فالبشرية لحمة واحدة، توحدها المروءات، وتؤثر عليها المظاهر. فليتعرف الناس على طيب الإيمان والمؤمنين نبسط لهم جسرا من الحفاظ على السمت الحسن، الذي تقبل عليه العين، ثم نتدرج بهم إلى سماع الحق واستطابته. لأنهم إن رأوا منا رثاثة الزي ازدرونا، فتفوتنا فرصة اللقاء والحوار.

روى الطبراني برجال الصحيح أن ابن عمر رضي الله عنهما سأله رجل: «ما ألبس من الثياب؟ قال مالا يزدريك فيه السفهاء، ولا يعيبك به الحكماء».

كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثوب يلقى به الوفود. وكان يتجمل لها ويستعد. لكنه لا يقبل أن يستعلي أحد على المسلمين بالباطل. فقد جاءه وفد النصارى من نجران، فوضعوا ثياب السفر، ولبسوا حللا يجرونها من الحبرة (وهي ثياب فاخرة)، وخواتيم الذهب. فلم يرد عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم السلام نهارا طويلا، ولم يكلمهم، حتى طرحوا ذلك اللباس وتلك الخواتم.

نتميز بالزي والعمامة واللحية، من قدر منا على ذلك ولم يكن الإسلام مضطهدا، فليس هذا ثوب الشهرة الذي نهينا عنه. إنما ثوب الشهرة ثوب الاستكبار. أما إظهار المرء إسلامه في زمان الغربة فجهاد. حتى إذا أذن الله تعالى بالنصر لفظنا تلك الأزياء المتفرنجة المتبرجة بوازع السلطان إن لم يفد وازع القرآن وحده.

ومن طيب المؤمن وحسن سمته الوجه الباسم المقبل على مخاطبه، والوجه الطلق الباش تلقى به أخاك صدقة، آصرة مهمة من أواصر الصحبة والجماعة والأخوة.

البشر والاستبشار والكلمة الطيبة. الكلام الواضح الهادئ الوقور. الإقبال على السائل وحسن الاستماع. الانبساط للناس. التبشير لا التنفير.

هذه الآداب نزرعها ونتعلمها ونعلمها جند الله. فإن الدعوة أول شيء وجه باش وكلمة طيبة، وشخص نظيف، جذاب بلطفه، وبيان فكرته.

*** الشعبة السابعة والخمسون : الحياء**

الحياء شعبة الإيمان التي تركها رسول الله صلى الله عليه وسلم تتراوح بين أعلى الشعب وأدناها. فهي واسعة عامة. هي الروح السارية في القربات العبادية، والعلاقات البشرية، والأواصر الإيمانية. حياء من الله ومن الناس، ووجدان سام يرفع المؤمن على الدنايا والنقائص.

يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم فيما رواه الإمام أحمد بسند صحيح والترمذي وابن حبان: «**الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة. والبذاء** (الكلام الفاحش والهيئة المزرية) **من الجفاء، والجفاء في النار**». الحياء هنا الموجب للإيمان والجنة، جاء مرادفا للانبساط للناس والتأدب معهم. ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فحاشا ولا لعانا، ولا ينبغي أن يكون في المؤمن شيء من ذلك.

وفي مجتمعاتنا، مجتمعات الكراهية، جفاء كثير، وغلظة واستكبار. الموظف لا يعتبر الواقف أمامه من عامة المسلمين إلا خشاشا من خشاش الأرض، والحاكم الصغير يركع أمام رؤسائه، ليصب بعدها نقمة كرامته المهانة على الموظف. وهكذا يتسلسل الجفاء. وفي مجتمع الأخوة تحت ظل الإسلام يجب أن يعاد للأمة كرامتها مع إعادة العدل والإيمان المعبر عن نفسه حياء عاما، أي لطفا للمستضعفين، وتكبرا على الجبارين، حتى يفيئوا إلى ظل الأخوة والمساواة.

نحن سواسية أمام الله عز وجل، فلا نحصل على الحياء حق الحياء إلا بالوحدة على أسس التقوى، ونبذ التفاخر والتظالم، وأسبابهما من زينة الحياة الدنيا.

روى الطبراني والترمذي بنحوه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال على المنبر والناس حوله: «**أيها الناس! استحيوا من الله حق الحياء!** فقال رجل: يا رسول! إنا لنستحيي من الله تعالى! فقال: **من كان منكم مستحييا فلا يبيتن ليلة إلا وأجله بين عينيه، وليحفظ البطن وما وعى، والرأس وما حوى، وليذكر الموت والبلى، وليترك زينة الدنيا**».

أرأيت عموم الحياء بين الله والناس، وبين الناس بعضهم مع بعض. إنه إقلاع عن الدنيا وزينتها، وأسباب التفاخر والتدابر، وجفاء العلاقات. المؤمن الحيي أجله بين عينيه، فهو مهتم ألا يأكل أموال الناس بالباطل (البطن وما وعى)، مهتم بفكره ألا يتيه وبحواسه وشهواته ألا تزيغ به (الرأس وما حوى)، مهتم بمصيره في الدار الآخرة فهو يتزود زاد التقوى من دنياه.

من آداب الإيمان وحيائه رحمة الكبير بالصغير، وتوقير الصغير للكبير.

ولعلو مرتبة هذه الشعبة كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم منها النصيب الأوفر ولأصحابه.

روى الشيخان وغيرهما عن أبي سعيد قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء في خدرها» زاد في رواية «وإذا كره شيئا عرف ذلك في وجهه».

نموذج عال لرقة الشمائل، ولين الجانب، ولطف المعشر، وشفافية الوجدان. هذا هو الوجه الموالي للمؤمنين ومن يرجى أن يلبي الدعوة. هو وجه الرحمة العامة التي كانت بين المؤمنين تفيض عليهم من تلك الروح المطهرة. ولولا تلك الرقة والرحمة ما استطاعوا أن يشتدوا على الكفار اشتدادا لا يتنكر للعاطفة الإنسانية على المغلوب والتائب والمظلوم. لولاها لكانوا إذن جبابرة جفاة.

*** الشعبة الثامنة والخمسون : آداب المعاشرة**

من الأجهزة الضرورية في علاقات البشر في هذا العصر عصر الجفاء، ما يسمونه «العلاقات العامة». رجال ونساء متخصصون في تلطيف اللقاء بين البشر، في الشركات والمنظمات والدول. ولوعي الجاهلية بفائدة هذه الملطفات أعطوها هذه الأهمية.

وجند الله يجب أن يعطوا أحسنهم سمتا، وألطفهم معشرا وحياء، مهمة الاتصال في المهمات والظروف الحساسة. لكن عليهم جميعا أن يتخلقوا بالآداب الإسلامية العامة ويحرصوا عليها، فهي التعبير العملي اليومي عن السمت النبوي، وهم دعاة ينبغي أن يدخلوا على مجتمعات الفتنة والجفاء والكراهية، ونواديها، ومجالسها، وفي اللقاءات الاجتماعية والفردية، وفي بيت المؤمن والمؤمنة مع الأبوين والأقارب والجيران، وفي المدارس، والمعاهد، والكليات، والإدارات، والشارع، كما تدخل النسمة اللطيفة الطيبة المنعشة في الجو العطن الراكد الثقيل العفن.

إن النفوذ السياسي الضروري لنا إنما يتكون من مجموع النفوذ الإيماني الأخلاقي الفكري الأدبي الذي يتاح لنا وسط الشعب. يجب أن نحرز

على النصر الأخلاقي الأدبي إعدادا للنصر التام ما نراه من التفاف المستفيدين حول الأنظمة الفاسدة، واتباع العامة وخضوعهم، واستقالة من يرجى في ظروف أخرى خيرهم عن واجبهم، إنما هو ضعف أمام السلطان القائم. أما قلوب الشعب فمعنا، ويجب أن نعاشر الشعب بصدق حاملي الرسالة، وأدب يعلمنا إياه الإسلام، لنتخذه عنوانا عما في قلوبنا من رحمة للعالمين، وراثة نبوية.

تنشأ بيننا، مما تنتجه مدارس الفتنة وإعلامها وشارعها وأوبئتها، أجيال عنيفة تحمل الحقد وتغذي نيات البطش. البؤس الذي زرعه حكام الجبر في الشعب، والازدراء، والظلم، تثمر جحافل من الشباب العاطل، المتوحش، المخدر. شباب اغتصبت منه إنسانيته، لم يرب على مروءة ولا خلق ولا دين. وشائج العشرة بين أفراده وعصاباته تتكون من علاقات العنف، والبذاءة في السلوك والقول، وفي الاستبداد من جانب الأقوياء، يقابلها من جانب الأصغر سنا والأضعفين الاستكانة للقوة العضلية، والسفاهة الخلقية والقولية، وعدم الاعتراف إلا بقانون العنف. وتتسلسل هذه العلاقات بين الأجيال صورة لما هو عليه الأمر في المجتمع الكبير المفتون.

ويجيء أدب المعاشرة الإسلامية. فهل يكون جند الله نعاجا وسط الذئاب؟ أم يمكن للقومة الإسلامية أن تتم بغير غضب جماهيري مدمر؟

ليس الأمر في الأدب الإسلامي مشكلا في أصوله وأهدافه، إنما المشكل في كيفية إحلال معانيه وعاداته وسلوكه محل العنف والكراهية والجفاء. الحل الإسلامي يريد علاجا شموليا متزامنا لكل آفات الفتنة ومخلفاتها، وتوجيها هادما للباطل بناء للحق لطاقات الرفض والغضب. سوء أدب الناس وجفاءهم وكراهيتهم لبعضهم ظواهر لأمراض نفسية واجتماعية وسياسية واقتصادية. فلا يمكن أن نأتي بآداب المعاشرة الإسلامية طلاء وصبغة من خارج، نبسطها على واجهة الواقع المتفسخ النتن

من داخل. لا! حتى يكون الأدب كالطيب، تولد من ريحانة طيبة المنبت، صحيحة النشأة.

العلاج الشمولي الجذري للفتنة ينبغي أن يستهدف أولا -ولا نمل نكررها- العدل في الأرزاق. الناس بلا بيوت صحيحة تؤويهم، وحياة زوجية آمنة على رزقها، أرانب متكاثرة، وأفاعي عنيفة سامة. أطفالنا وشبابنا قطيع مهمل، ضاقت مدارس الفتنة عنه، أو لفظته وفشلت في تربيته وتعليمه، أو طردته. إنسانية طرحناها مع قطعان القطط فتوحشت. مستضعفون ضحية كانوا يكونون زهرة الأمة لو وجدوا عناية وكرامة يستحقها شباب كل أمة تريد الحياة والعزة. المدارس والمعاهد والكليات معتقلات في النهار تعج بالنشء المهمل في البيت لشغل الأبوين-إن لم يكن الأبناء يتامى النكبات ولقطاء الإجرام- بمصائب العيش، المهمل أمام النماذج السامة المعروضة في وسائل الإعلام والشارع، المهمل في المدرسة لتردي وضعية المدير والأستاذ والمعلم المادية والمعنوية والخلقية.

طلب وقار الإسلام، وحشمة الإسلام، وحياء الإسلام، وأدب الإسلام، من شعوب تغلي فيها الفتنة غليانا، حلم ناعم غائب عن الواقع.

كيف نطبق آداب الاستئذان، وحرمة الناس في بيوتهم، وبعضنا يسكن قصورا ويملك عمارات، وبعضنا أكداس في أعشاش البادية وهوامش البؤس في المدينة؟

كيف نطبق آداب الاتصال بالناس، وآداب الزيارة، وحرمة اختلاء الرجال بالنساء، وقد ساد التحرر من كل خلق، وسادت العادة الجاهلية، واختلط الحابل بالنابل في البيوت، قصورها وأعشاشها، على السواء، وفي الشوارع والحافلات، وفي الإدارات، وفشا الزنا والاستهتار بكل مروءة؟

كيف نفشي السلام لتسود بيننا المحبة وقد أصبحت كلمة السلام عليكم عنوانا على التخلف عند قوم استعجمت ألسنتهم وأدمغتهم وقست قلوبهم؟

إفشاء السلام الذي أمرنا به لا ينتهي عند طرح الكلمة المباركة، بل يستدعي إحلال السلام محل الحرب بين الطبقات، بين سكان المدن وسكان البادية، بين العاطل ومن له قدرة على استثمار المال وتشغيل المسلمين، بين الطبقة الحاكمة المستكبرة المحتلة لمناصب الجاه والمال وبين الأجيال المتكاثرة الصاعدة المحرومة، بين الرجال المستكبرين لسوء تربيتهم على النساء، النساء المتقوقعات في تفاهات التنافس على الأحمرين والكيد الضعيف. بين من لا يجد قوت نفسه وصبيته وبين من يكدس الأرصدة في بنوك الجاهلية يستعد للهرب كما يفعل اللص. بين الإقطاعي صاحب الرصيد الضخم في البنوك وبين المشدود إلى الأرض والمشرد فيها مع رصيده من الأمراض الفتاكة والفقر المدقع والجهل القاتل. الحديث عن الأدب بلا عدل كمن يعرض جمال غروب الشمس على محتضر بالسرطان. رحم الله عالم الأمة الإمام عليا إذ يقول: «كاد الفقر أن يكون كفرا».

ما دام جند الله في مراحل الدعوة فهم نسمة لطيفة تدخل على جو الكراهية تنعش ما استطاعت من آمال، وتهذب ما استطاعت من أخلاق وعلاقات. وحين يؤول إليهم الأمر إن شاء الله -ولا نشك لحظة في موعود الله ورسوله- يفرضون بسلطان النموذج المتفوق، والمثال القائم، آداب الإسلام كما يفرضون بسلطان الدولة العدل والبذل الأخوي.

وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ماضية في مرحلتين، يجب على جند الله أن يتحلوا بها في تفاصيلها ودقائقها. فإن وحدة السلوك إنما تتم بتماسك الجماعة النورانية ظاهرا وباطنا.

يطبق جند الله آداب الاستئذان، والسلام، والمصافحة، والمعانقة، والمباششة، وآداب المجلس والمشورة. يتعلمون كيف يحترمون من أمامهم، وكيف يعطونه حقه من وقتهم ووجههم وأذنهم.

ويتعلمون، بمزج الأدب مع الناس بالأدب والحضور مع الله سبحانه، أن لا تجذبهم سطوح العلاقات البشرية إلى المجاملات والنفاق. فيذكرون الله في كل مجلس لكيلا يكون عليهم ترة (أي نقمة يوم القيامة)، ويختمونه بدعاء كفارة المجلس. ويلتزمون الوقار واحترام المواعد بكل دقة، دون تنطع ولا عبوس ولا انقباض ولا تكلف ولا تزمت، برأنا الله منها، فإن في ديننا فسحة! والملاطفة والمداعبة البريئة من سنة نبينا صلى الله عليه وسلم. وإنشاد الشعر الإسلامي المحمس للجهاد سنة نبوية والنشيد من هذا النوع في مثل المناسبات الاجتماعية، حيث نجالس عامة الناس، مما ينوع المجلس، ويحارب عادات الجاهلية من الزمر والغناء الشيطانيين.

من الآداب المؤكدة المحافظة على علاقات الصحبة والجماعة البناءة بأداء الحقوق الخمسة لأهلها: رد السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس. وحقوق أخر: نصيحة المستنصح، وقرض المستقرض، وإعانة الناس على البر.

ويحافظ المؤمن والمؤمنة في المجلس ومع كل الناس على الهيئة الحسنة في الجلسة، وما يحدث من طارئ كالتثاؤب والجشاء.

تلين القول إلا لمن غلظ عليك بالباطل، وتشكر المحسن، وتعتذر عن أقل إخلال. تكرم اليد اليمنى وتستعملها فيما أمرت به. فإن من علامات الغفلة أن يستهين المرء بهذا وأمثاله.

للحضر آداب وللسفر مثلها. وللرجال آداب وللنساء مثلها، ولليقظة آداب وللنوم مثلها.

واتصال المؤمنين بالمؤمنات لواجب الدعوة والتعليم والتربية والتوجيه يجب أن تراعى فيه الآداب الشرعية بدقة وصرامة.

زفرة تضيق بها صدورنا وشكوى وحزن نبثهما إلى الله ربنا، مما تعانيه المسلمات في مجتمعات الكراهية والعنف. يا من تصرخون على

المسكينات في شوارع الفتنة وسوق العهارة! ما هن إلا الضحيات أسفل السلم في أنظمة قائمة كلها على علاقات العنف. ترمى فتياتنا إلى الشارع لطلب اللقمة، فلا يجدن إلا غصة الخبز بإدام الدموع. من آواهن؟ من كساهن؟ من أطعمهن؟ من فعل بهن هذا ثم رأى فظاعة ما يحز في أنفسنا حز المدى فله أن يصرخ عليهن وحدهن.

فيا أيها المسكين -مسكين العلم- الذي تهدد الساقطات بويلات جهنم وتستعدي عليهن جلاوزة الفتنة! هلا نظرت أصل البلاء في تهتك المتبرجات المغربات المترفات وما في ركابهن من أفلام الخلاعة والفاحشة! هلا لمت المستكبرين الذين قتلوا مروءة الأمة باستنزاف أموالها واستحياء نسائها؟

من ربى المرأة؟ من عصمها من تيار الفساد الجاهلي؟
من كساها وآواها وأطعمها؟
من حماها من ذئاب الحظيرة؟ من ربى الرجل؟

ذاك الذي يفعل كل هذا يحق له أن يصرخ ويطبق شرع الله في حد الزانية. أما والحكم بالظلم والكفر والفسق سار من قمة رأس المجتمع إلى أخمص قدمه، فما الصراخ إلا تلهية وبخور يعتم ما هنالك وراء شاشة الشارع.

أمام المؤمنات من كتائب جند الله مهمة ضخمة لإنقاذ المرأة من حمأة الرذيلة، وأمام دولة الإسلام مهمة التمهيد للعدل ونصرة الحق لذلك.

بما أن المرأة في مجتمعات الفتنة هي مستضعفة المستضعفين، وبما أن بصلاحها يصلح البيت وتصلح الأجيال، فينبغي أن تكون تربيتها وكفالتها وحمايتها أولى الأولويات الاجتماعية في برامج الدعوة والدولة.

التتمة في العدد العاشر إن شاء الله

بسم الله الرحمن الرحيم

اختتامية : مآس

عندما يقف العلماء على مسرح السياسة يمثلون الأدوار التقليدية المخدرة لحس الشعب تتسلل ذئاب الحكم إلى أموال الأمة وأعراضها وقيمها تفترس المستضعفين.

لماذا يكون الساكت عن الحق شيطانا أخرس ؟ ذلك لأن صمته عن الحق ونطقه بعبارات المديح والثناء وعبادة الباطل يكونان ستارين من ورائهما يغتال الإسلام وتمتص دماء الشعب وتذبح العفة.

تبدأ المؤامرة بتمثيليات فضحها أبو حازم ويفضحها أمثاله في كل زمان. لكن صوت أهل الحق يكمم ، وأنفاسهم تكتم ضمن المأساة التاريخية التي يشهد فيها مصرع الفضيلة يغطي صراخها واستصراخها دوي الأصوات المأجورة والخانعة وبطش الأيدي القذرة. أسمي هنا عاملي الفتنة من العلماء والأمراء على عهد الحكم العاض والجبري الذي أذن الله أن تخلفه يوما -نرجوه قريبا- الخلافة على منهاج النبوة.

وراء ستار سكوتكم بل خرسكم الشيطاني يا خانعين تحت البطش ويا آكلين من أيدي من يدجنكم مآس سوداء يطول سردها ويقصر النفس وتثور الغيرة الإيمانية لمجرد سماعها لو كانت بنا حياة.

أين أنتم يا مؤمنون ؟

في مدارسنا المسماة عليا أبناء المسلمين وبناتهم تهان كرامتهم بصفة رسمية عند الدخول حيث يومرون بأنواع من الرذالة كأن يتعرى الشاب والشابة تماما أمام المتفرجين وينفذوا ما به يأمرهم سدنة الشيطان.

بؤس أخلاقي منظم. عار. شنار.

والأوصاف هنا لا تبلغ أن تصف تلك الفظاعة.

فظاعة ما يسمونها «البوزطاج».

وينهض الشباب المومنون لمعارضة هذه الطوام فيجدون من الإدارة تعزيزا لشرذمة أولادنا المغربين المغررين «التقدميين» الحريصين على تقاليد الدوابية الجاهلية.

نبقى على صعيد الأخلاق حتى لا نذكر الديكور المتكامل لمسرحية الفتنة الجبرية من الخزي الطبقي والفقر والجهل والمرض إلى جانب الترف والتبذير والمسخ.

مأساة نموذجية للتسلط واستغلال النفوذ وقهر الشعب ومحاربة الإسلام والمروءة والإنسانية اقرأوها معي في رسالة من أخ من القراء :

* لعله بلغ إلى علمك ما حدث خلال شهر رمضان الماضي (يوم 8) بقيادة... بإقليم الرشيدية. من خروج قائد المنطقة بسيارته، التي حمل فيها امرأة متزوجة إلى أن اختفى والمرأة معه قرب قرية (...). وكان أن تبعه جماعة من السكان بسيارة أحدهم، حتى اكتشفوا اختفاءه عند الغروب في المكان المذكور يفعل بالمرأة المتزوجة ما لا يخفى على أحد.

وبعد أن عاد إلى قيادته، وعلم بشيوع الخبر في الناس أرسل في طلب صاحب السيارة، وعذبه وسجنه. فتداعى السكان تلقائيا للتجمهر أمام القيادة للاحتجاج والاستنكار. فما كان من القائد إلا أن أطلق عيارات جارحة من بندقية أخذها من رجال القوات المساعدة، ثم أمر هؤلاء ففعلوا مثله. وحضرت في هذا الوقت قوات أخرى من الجيش والدرك فرقت الناس. وألقي القبض على أكثر من 100 شخص. وحضر عامل الإقليم بنفسه، وتبين حقيقة الأحداث، رغم محاولات القائد لتفسيرها بعيدا عن سببها الحقيقي، وربطها بأحداث البيضاء. بعد ذلك أحيل 30 معتقلا على المحكمة

بالرشيدية بعد أن تعرضوا للضرب والتعذيب مما أدى إلى وفاة أحدهم وهو السيد (كرومي بابا) الموظف بمستشفى كلميمية ، والذي لم يحضر في شيء من الأحداث، والذي خلف أسرة، لا كافل لها سواه.

كل هذا، والحقيقة يعرفها الخاص والعام، وعرفها السيد عامل الإقليم في حينها، واعترفت بها المرأة المذكورة، في جميع مراحل الاستنطاق. ومع ذلك، فالسلطة -كعادتها- تفضل أن تقف ضد الحق، وضد السكان، ضاربة عرض الحائط بدينهم وكرامتهم، ومصالحهم وحتى بحياتهم. من أجل شخص يسيء إليها أكثر مما يسيء إلى نفسه وإلى الناس.

بقى أن نذكر القضاء، وغيره -والذكرى تنفع المؤمنين- أن حكم الزاني المحصن، والزانية المحصنة في الإسلام هو الرجم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

رحمة تنقلكم يا علماءنا المداحين من ركن الركون إلى جانب الحق تنصرون الله وتأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر كما أمرتم.